الروضة الندية

من

التذكرة الحمدونية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فهذه اقتباسات من كتاب التذكرة الحمدونية - وهو من أهم كتب الأدب - كنتُ قرأت ذلك الكتاب وانتقيت منه بعض النوادر والطرائف والفوائد وجمعتها لنفسي فقط ، فبدا لي أن أنشرها هنا ؛ ليستفيد القارئ .

والله من وراء القصد . .

محمد عبد الرحمن

@Alshehry661

[١]- كان أبو بكر رضي الله عنه إذا مدح يقول : اللهم أنت أعلم مني بنفسي وأنا أعلم منهم بنفسي ، اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون .

[٢]- وقال المغيرة لعمر بن الخطاب : إنا بخير ما أبقاك الله . فقال عمر : أنت بخير ما اتقيت الله .

[٣]- ومرّ عمر رضي الله عنه بشابّ فاستسقاه ، فخاض[1] له عسلاً فلم يشرب وقال : إني سمعت الله سبحانه وتعالى يقول : { أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا } (الأحقاف : ٢٠) . فقال الفتى : إنها ليست لك ، اقرأ ما قبلها : { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ } (الاحقاف : ٢٠) . أفنحن منهم ؟
فشربها وقال : كلّ الناس أفقه من عمر .

[٤] – وكان عمر رضي الله عنه يحمل الدقيق على ظهره إلى الفقراء فقال له بعضهم : دعني أحمله عنك ، فقال : ومن يحمل عني ذنوبي؟

[٥]- قال عمر رضي الله عنه : لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها ! .

[٦]- ولما حضرت سلمان الفارسيّ الوفاة عرف منه بعض الجزع .
فقالوا : ما يجزعك أبا عبد الله ، وقد كان لك سابقة في الخير ، شهدت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مغازي حسنة وفتوحا عظاما ؟

---
١ – خاض : أعطاه وأورده .

فقال : يحزنني أنّ حبيبي محمدا صلى الله عليه وسلم عهد إلينا حين فارقنا ، فقال : ليكفِ المؤمن كزاد الراكب ، فهذا الذي حزنني ؛ فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارا .

[٧]- قال عبد الله بن مسعود : إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة .

[٨] - واشترى رجل بالمدائن شيئا فمرّ بسلمان ، وهو أميرها ، فلم يعرفه فقال : احمل هذا يا علج ، فحمله ، فكان من يتلقّاه يقول ادفعه إليّ أيها الأمير ، والرجل يعتذر وهو يقول : لا والله ما يحمله إلا العلج ، حتى بلغ منزله !!

[٩]- قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث :
أضحكني : مؤمّل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه . ولا يدري أساخط عليه ربه تعالى ، أم راض عنه .
وأبكاني : هول المطّلع ، وانقطاع الأمل ، وموقفي بين يدي الله سبحانه وتعالى لا أدري أيأمر بي إلى الجنة أم إلى النار .

[١٠]- كان بين سعد بن أبي وقاص وبين خالد بن الوليد كلام[١] ، فذهب رجل ليقع في خالد عند سعد ، فقال : مه إنّ ما بيننا لم يبلغ ديننا .

[١١]- وقال هرم بن حيان لأويس القرني[٢] : صلنا بالزيارة ، فقال له أويس : قد وصلتك بما هو خير من الزيارة ، الدعاء بظهر الغيب ، إن الزيارة قد يعرض فيها الرياء والتزيّن .

١ – أي : سوء تفاهم .

٢ – يرى بعض العلماء كالإمام مالك والبخاري وشعبة بن الحجاج وغيرهم من المتقدمين ، أن شخصية أويس ليس لها أصل !

[١٢]- حدث زيد بن أسلم عن أبيه قال :

خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على واقم فإذا نار تؤرّث بضرام .

فقال يا أسلم : إني أحسب هؤلاء ركبا يضربهم الليل والبرد ، انطلق بنا إليهم .

قال : فخرجنا نهرول حتى أتينا إليهم ، فإذا امرأة توقد تحت قدر ومعها صبيان يتضاغون "من الجوع" .

فقال عمر : السلام عليكم أصحاب الضوء ، وكره أن يقول أصحاب «النار» ، أدنو ؟

فقالت : ادن بخير أو دع ، قال : ما بالكم؟ قالت : يضربنا البرد والليل .

قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع ، قال : فما هذه القدر ؟

قالت : ماء أسكتهم به ، الله بيننا وبين عمر !

قال : وما يدري عمر ؟

قالت : يتولّى أمرنا ثم يغفل عنّا ، فأقبل عليّ فقال : انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق فيه كبّة من شحم .

فقال : اجعله فوق ظهري ، قلت : أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين

قال : احمله علي ، قلت : أنا أحمله عنك .

قال : أنت تحمل وزري عني يوم القيامة ؟! لا أمّ لك ، احمله عليّ ، فحملته عليه ، فخرجنا نهرول حتى ألقينا ذلك العدل عندها ، ثم أخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول للمرأة ذرّي عليّ وأنا أحركه ، يعني أسوطه ، وجعل ينفخ تحت القدر ، وكان ذا لحية عظيمة ، فجعلت أنظر إلى الدخان يخرج من خلل لحيته حتى أنضج فأخذ من الشحم فأدمها به ، ثم قال : ابغيني شيئا ، فجاءته بصحفة ، فأفرغ القدر فيها ، ثم جعل يقول لها أطعميهم ، وأنا أسطح لك ، يعني أبرّده لك ، حتى أكلوا وشبعوا ، ثم خلّى عندها فضل ذلك .

فقالت له : جزاك الله خيرا أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين .

قال : قولي خيرا ، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك ، ثم تنحّى قريبا وربض مربض السبع . فقلت : إنّ لك شأنا غير هذا ؛ فلم يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا ، فقام وهو يحمد الله ثم أقبل عليّ ، فقال : يا أسلم إني رأيت الجوع أبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى منهم مثل الذي رأيت .

[١٣]- قال خارجة بن مصعب : ختم القرآن في الكعبة في ركعة أربعة من الأئمة عثمان بن عفان رضي الله عنه وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة .

[١٤]- قال عبد الله بن عمر بن الخطاب : تضرّعت إلى ربي سنة أن يريني أبي في النوم ، حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته .

فقال : لولا رحمة الله هلك أبوك ، إنه سألني عن عقال بعير الصدقة ، وعن حياض الإبل ، فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه ، وقال : فعل هذا بالتقيّ الطاهر ، فكيف بابن المترف عمر بن عبد العزيز؟! .

[١٥]- وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحبّ أن يخفّف عني الموت لأنه آخر ما يؤجر المسلم عليه .

[١٦] قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكنّ التقيّ هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقى مزيد
وما لا بدّ أن يأتي قريب ... ولكن الذي يمضي بعيد

[١٧] كان يُقال لحمص : الكويفة الصغرى لشكايتهم العمّال ! [١]

[١٨]- قال عبد الله بن محيريز : إني صحبت فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : أوصني رحمك الله ؛ قال : احفظ عني ثلاث خصال ينفعك الله بها ، إن استطعت أن تعرف ولا تعرف فافعل ، وإن استطعت أن تسمع ولا تتكلّم فافعل ، وإن استطعت أن تجلس ولا يقام إليك فافعل .

---

[١] – ومن ذلك أنهم شكوا سعيد بن عامر الجمحي عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان قد جعله عاملاً على حمص .

[١٩]- كان يجالس سفيان الثوريّ رجل ضرير ، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد فيصلّي بالناس ، فيكسى ويعطى ، فقال سفيان : إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قراءتهم ، ويقال لمثل هذا : قد تعجّلت ثوابك في الدنيا فقال : يا أبا عبد الله تقول لي هذا وأنا جليس لك؟ قال : إني أخاف أن يقال لي يوم القيامة : هذا كان جليسك ، أفلا نصحته؟ .

[٢٠]- وقال الحسن بن صالح : لما احتضر أخي علي بن صالح رفع بصره ثم قال : مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً (النساء : ٦٩) ثم خرجت نفسه ، قال :
فنظرنا إلى جنبه فإذا ثقب في جنبه وقد وصل إلى جوفه وما علم به أحد من أهله .

[٢١]- رُوي أن داود بن نصير الطائيّ قال له رجل : يا أبا سليمان ما ترى في الرّمي فإني أحبّ أن أتعلّمه؟ قال : إنّ الرمي لحسن ، ولكن هي أيامك فانظر بم تقطعها ؟! .

[٢٢]- قال عبد الله بن إدريس : قلت لداود الطائي : أوصني ؟
قال : أقلل من معرفة الناس .
قلت : زدني .
قال : ارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضي أهل الدنيا بالدنيا مع فساد الدين .
قلت : زدني .
قال : اجعل الدنيا كيوم صمته ثم أفطر على الموت .

[٢٣]- وقال إبراهيم : المسألة مسألتان :
مسألة على أبواب الناس ، ومسألة يقول الرجل : ألزم المسجد وأصلّي وأصوم وأعبد الله ، فمن جاء بشيء قبلته ! فهذه شرّ المسألتين ، وهذا قد ألحف في المسألة .

[٢٤]- وقال إبراهيم بن أدهم : لم يصدق الله من أحبّ الشهرة .

[٢٥] وقال إبراهيم : الزهد ثلاثة أصناف :

- فزهد فرض .
- وزهد فضل .
- وزهد سلامة .

فالفرض الزهد في الحرام ، والفضل الزهد في الحلال ، والسلامة الزهد في الشبهات .

[٢٦] - قال الحسن : ما أعطي رجل من الدنيا شيئا إلا قيل : خذه ومثله من الحرص .

[٢٧]- وقيل : ثلاثة أشياء يستوي فيها الملوك والسوقة والعلية والسفلة : الموت ، والطلق ، والنزع ! .

- ويشبه هذا المعنى قول عبد الله بن الزبعرى [من الرمل] .

والعطيات خساس بينهم . . . وسواء قبر مثر ومقلّ .

[٢٨] قال يوسف بن أسباط : لو أنّ رجلا في ترك الدنيا مثل : أبي ذرّ ، وسلمان ، وأبي الدرداء ، ما قلنا إنه زاهد ؛ لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض ، والحلال المحض لا يعرف اليوم ! .

[٢٩]- قال محمد الكندي : سمعت أشياخنا يقولون : إذا عرض لك أمران لا تدري في أيهما الرشاد ، فانظر أقربهما إلى هواك فخالفه ، فإن الحقّ في مخالفة الهوى ! .

[٣٠]- جاء ابن لسليمان بن عبد الملك حتّى جلس إلى جنب طاووس ابن كيسان ، فلم يلتفت إليه .

فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه .
فقال : أردت أن يعلم إنّ لله عبادا يزهدون فيما في يديه .

[٤٠]- قال محمد بن واسع : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث :

- بلغة من عيش ليس لأحد عليّ فيها منّة ولا لله عليّ فيها تبعة .
- وصلاة في جماعة أكفى سهوها ويذخر لي أجرها .
- وأخ إذا ما اعوججت قوّمني .

[٤١]- قال مكحول : إن كان في الجماعة : الفضيلة ، فإنّ في العزلة : السلامة .

[٤٢]- وكتب عمر إلى الجّراح بن عبد الله الحكمي ، وهو عامله : إن استطعت أن تترك مما أحلّ الله لك ما يكون حاجزا بينك وبين ما حرّم الله فافعل ، فإنه من استوعب الحلال كلّه تاقت نفسه إلى الحرام .

[٤٣]- وقال عمر لخالد بن صفوان : عظني وأوجز ، فقال خالد : يا أمير المؤمنين إن أقواما غرّهم ستر الله وفتنهم حسن الثّناء فلا يغلبنّك جهل غيرك بك علمك بنفسك ، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين ، وبثناء الناس مسرورين ، وعمّا افترض الله تعالى متخلفين ومقصرين ، وإلى الأهواء مائلين ؛ فبكى ثم قال : أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى .

[٤٤]- وقال عروة بن أذينة : [من الوافر] .

نراع إذا الجنائز قابلتنا ... ويحزننا بكاء الباكيات
كروعة ثلّة لمغار سبع ... فلمّا غاب عادت راتعات

[٤٥]- كان مالك بن دينار يمرّ بالسوق فيرى ما يشتهيه فيقول : يا نفس اصبري ، ما أحرمك ما تريدين إلاّ لكرامتك عليّ .

[٤٦]- قال الثوري : إذا مررت بدورهم ، يعني السلاطين ، فلا تنظر إليها فإنما بنوها لينظر إليها ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ (الحجر : ٨٨) الآية .

[٤٧]- وقال المأمون لما احتضر : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

[٤٨]- ودخل قوم منزل عابد فلم يجدوا شيئا يقعدون عليه ، فلما خرجوا قال لهم : لو كانت دار مقام لا تّخذنا لها أثاثا .

[٤٩]- كان معروف الكرخي يقول : ليكن الله عز وجل جليسك وأنيسك وموضع شكواك ، فإن الناس لا ينفعون ولا يعطون ولا يحرمون ، وإن شفاء ما ينزل بك من المصائب كتمانه .

[٥٠]- وقال علي عليه السلام : لكلّ جواد كبوة ، ولكلّ حكيم هفوة ، ولكلّ نفس ملّة فاطلبوا لها طرائف الحكمة .

[٥١]- قال لقمان لابنه : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن :

- لا يعرف الحليم إلا عند الغضب .
- ولا الشجاع إلا في الحرب إذا لاقى الأقران .
- ولا أخوك إلا عند حاجتك إليه .

[٥٢]- قال سقراط : السبب الذي به أدرك العاجز حاجته هو الذي أقعد الحازم عن طلبته .

[٥٣]- وقال حكيم من اليونانيين : السعادات كلها في سبعة أشياء :

- حسن الصورة .
- وصحة الجسم .
- وطول العمر .
- وكثرة العلم .
- وسعة ذات اليد .
- وطيب الذكر .
- والتمكن من الصديق والعدو .

[٥٤]- قال فيلسوف : كثير من الأمور لا تصلح إلا بقرنائها : لا ينفع العلم بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عقل ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا الحسب بغير أدب ، ولا السرور بغير أمن ، ولا الغنى بغير كفاية ، ولا الاجتهاد بغير توفيق .

[٥٥] وقال أبرويز : إنما الكلام أربعة :

- سؤالك الشيء .
- وسؤالك عن الشيء .
- وأمرك بالشيء .
- وخبرك عن الشيء .

فهذه دعائم الكلام إن التمس إليها خامس لم يوجد ، وإن نقص منها رابع لم تتم ، فإذا طلبت فأسجح ، وإذا أمرت فاحتم ، وإذا أخبرت فحقّق ، وإذا سألت فأوضح .

[٥٦] - قال أفلاطون : لا تجبروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم .

[٥٧] - قيل : إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن تظنّ بأحد سوءا حتى تعلم ذلك منه ، فإذا كان زمان الجور فيه أغلب من العدل فليس لأحد أن يظنّ بأحد خيرا حتى يرى ذلك منه .

[٥٨]- وقال بعض ملوك الهند : من أحبّك لأمر أبغضك عند انقضائه .

[٥٩]- وقال الخليل بن أحمد : كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ ما في كتبك .

[٦٠]- قال أفلاطون : لا ينبغي للأديب أن يخاطب من لا أدب له ، كما لا ينبغي للصاحي أن يخاطب السكران .

[٦١]- قال لقمان لابنه : يا بنيّ كذب من قال : إنّ الشّرّ يطفىء الشرّ ، فإن كان صادقا فليوقد نارا عند نار فلينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى ؛ يا بنيّ الخير يطفىء الشر كما يطفىء الماء النار .

[٦٢]- وقد قال أردشير : الدين والملك توأمان ، والدين أصل والملك حارس ، وما لا أصل له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع .

[٦٣]- وقالت الحكماء : الملوك ثلاثة : ملك دين ، وملك حزم ، وملك هوى .

أما ملك الدين فإذا أقام لرعيته دينهم فكان هو الذي يعطيهم مالهم ويلحق بهم ما عليهم ، أرضاهم بذلك وأنزل الساخط منهم بمنزلة الراضي في التسليم والاقرار .

وأما ملك الحزم فإنه يقوى على الأمر ولا يسلم من الطّعن ، ولن يضير طعن الذليل مع حزم القوي .

وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر .

[٦٤]- كتب أبرويز إلى ابنه شيرويه وهو في حبسه : لا توسعنّ على جندك فيستغنوا عنك ، ولا تضيقنّ عليهم فيضجّوا منك ، أعطهم عطاء قصدا ، وامنعهم منعا جميلا ، ووسّع عليهم في الرجاء ، ولا توسّع عليهم في العطاء .

روي أن المنصور لما سمع هذا الكلام قال في عقيبه ، صدق الأعرابي :

«أجع كلبك يتبعك» فقام أبو العباس الطوسيّ فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك ، فسكت المنصور وعلم أنها كلمة لم تخطم! .

[٦٥] قيل : أهل الحزم من الملوك يجعلون لكل ذنب عقوبة : فلذنب السّر عقوبة السر ، ولذنب العلانية عقوبة العلانية .

[٦٦]- قال صاحب كليلة ودمنة : السلطان لا يقرّب الرجال على قرب آبائهم ولا يباعدهم لبعدهم ، ولكنه ينزلهم على قدر ما عند كلّ امرىء منهم فيما ينتفع به ، وقد يكون الجرذ في البيت جارا مجاورا ، فينفى إذا كان ضارّاً مؤذيا ، ولما كانت في البازي منفعة وهو وحشيّ اقتني واتّخذ .

[٦٧]- قال لقيط الإياديّ في مثله : [من البسيط]

فقلّدوا أمركم لله درّكم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عضّ مكروه به خشعا
ما زال يحلب درّ الدهر أشطره ... يكون متّبعا طورا ومتّبعا
حتى استمرّت على شزر مريرته ... مستحصد الرأي لا قحما ولا ضرعا

القحم : الشيخ المسن ، والضرع : الضعيف الصغير .

[٦٨] - قال المنصور : الملوك تحتمل كلّ شيء إلا ثلاث خلال : إفشاء السرّ ، والتعرّض للحرم ، والقدح في الملك .

[٦٩] – يقال : لا يكون الملك ملكا حتى يعاقب على صغير الذنوب ويعفو عن كبيرها ، ومثله قول الشاعر : [من الكامل المجزوء]

تعفو الملوك عن العظيم . . . من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير . . . وليس ذاك بجهلها

[٧٠] قال قابوس : لذة الملوك فيما لا تشاركهم فيه العامة من معالي الأمور .

[٧١]- وقال حكيم : إنما يستطيع عمل السلطان وصحبتهم رجلان :

- إما رجل فاجر ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته .
- وإما رجل مهين مغفّل لا يحسده أحد .

فأما من أراد صحبتهم بالصدق والنصيحة والعفاف لا يخلط ذلك بمصانعة ، فقلّ ما يستتمّ له صحبتهم! ؛ فانه يجتمع عليه عدوّ السلطان وصديقه بالبغي والعداوة والحسد ، أما صديق السلطان فينافسه ، وأما عدوّ السلطان فيضطغن عليه نصيحته وغناه عنه ، فإذا اجتمع هذان الصنفان عليه كان يتعرّض للهلاك .

[٧٢]- وقيل : إن ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعيته ، فاعلم أنّك قد خيّرت بين خلّتين ليس فيهما خيار :

- إما الميل مع الوالي على الرعية فهذا هلاك الدين .
- وإما الميل مع الرعية على الوالي فهذا هلاك الدنيا .

- ولا حيلة لك في ذلك إلا الهرب أو الموت ، ولا ينبغي لك ، وإن كان الوالي غير مرضيّ السيرة إذا علقت حبائلك حبائله إلا المحافظة عليه ، إلا أن تجد إلى الفراق الجميل سبيلا .

[٧٣] – قال الزهري : ثلاث إذا كنّ في القاضي فليس بقاض ، إذا كره اللوائم ، وأحبّ المحامد ، وكره العزل .

[٧٤] – وقيل إنه – سهل بن هارون – رأى أبا يوسف القاضي على باب الرشيد والشمس تنقله من ظل ظلّ ، فقال له : أمثلك مع علمك وفضلك تقف هذا الموقف؟
فأنشد : [من الطويل] .

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولا تكرم النفس التي لا تهينها

[٧٥]– وقال جعفر بن محمد : كلّ الأشياء تحتاج إلى العقل إلا شيئا واحدا . قيل : ما هو؟ قال : الدول!

[٧٦]– وأنشد الخليل : [من الطويل] .

إذا كمّل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه وضرائبه
يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محظورا عليه مكاسبه
ويزري به في الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه ... على العقل يجري علمه وتجاربه

[٧٧]– وقال أبو نواس : [الرمل المجزوء] .

مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام
ربما استفتحت بالنّط ... ـق مغاليق الحمام

[٧٨]– قالوا : العدل لا بدّ منه في كلّ الأشياء حتى إن الجور يحتاج إلى العدل ، وضربوا لذلك مثلا في قطّاع الطريق والمجتمعين على ظلم ، قالوا :
– لو لم يتناصفوا فيما بينهم ولم يستعملوا الواجب فيما يقسمونه ؛ لانفسد أمرهم وانحلّ نظامهم .

[٧٩]- قال جعفر بن محمد : لا تتبع أخاك بعد القطيعة وقيعة فيه ؛ فتسدّ عليه طريق الرجوع إليك ، ولعل التجارب أن تردّه إليك .

[٨٠]- قد قيل : إياك وجرأة الغضب : فإنها تصيّرك إلى ذلّ الاعتذار .

[٨١]- وقال - ابن المقفع - أيضا فيما ترجمه من حكم الفرس :
إن ذكرك ذاكر عند السلطان بسوء في وجهك أو غيبك ؛ فلا يرينّ الوالي ولا غيره منك اختلاطا لذلك ولا غيظا ، ولا تكترث له فيدخل عليك من ذلك شبيه بالريبة مؤكدة لما قال فيك العائب .

وان اضطررت إلى الجواب فإياك وجواب الانتقام والغضب ، وعليك بجواب الوقار والحلم والحجّة ، ولا تشكنّ في أن القوة والغلبة للحليم .

[٨٢]- وقال علي رضي الله عنه : مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم . لا تجعلن درن لسانك على من أنطقك ، وبلاغة قولك على من سدّدك .

[٨٣]- وقال آخر : لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا السفيه فيجترىء عليك .

[٨٤]- وقال عبد الله بن الحسن : المراء يفسد الصداقة القديمة ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقلّ ما فيه أن تكون المغالبة ، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة .

[٨٥]- وقال أعرابي : [من الوافر] .

إذا ضيعت أوّل كلّ أمر ... أبت أعجازه إلا التواء
وإن سوّمت أمرك كلّ وغد ... ضعيف كان أمركما سواء
وإن داويت أمرا بالتناسي ... وباللّيّان أخطأت الدواء

[٨٦]- وقد قيل : ما احتنك[1] أحد قطّ إلاّ أحبّ الخلوة !

[٨٧] - طلب أهل يونان رجلا يصلح للملك بعد ملك لهم فذكروا رجلا ، فقال فيلسوف لهم : هذا الرجل لا يصلح للملك ، قالوا : ولم؟

قال : لأنه كثير الخصومة ، وليس يخلو في خصومته أن يكون ظالما أو مظلوما ، فإن كان ظالما لم يصلح للملك بظلمه ، وإن كان مظلوما لم يصلح لضعفه .

قالوا : صدقت ، فأنت أولى بالملك منه ، فملكوه .

[٨٨]- قال معاوية : لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أنّ بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، كنت إذا مدّوها خلّيتها وإذا خلّوها مددتها .

[٨٩] - وكان المهتدي أمير صدق وصاحب نسك ، لبس الصوف ، وهمّ بافاضة العدل فحالت دونه الأتراك ، وقصرت أيامه فلم يتمكن من مرامه ، وكان يسمّى راهب بني العباس .

تظلّم إليه رجل من بعض أسبابه فاحضره وحكم عليه بما صحّ عنده ، فقام الرجل وشكره وقال : أنت يا أمير المؤمنين كما قال الأعشى : [من السريع] .

حكمتموه فقضى بينكم ... أبلج مثل القمر الزاهر

لا يقبل الرشوة في حكمه ... ولا يبالي غبن الخاسر

فقال المهتدي : أما أنت فأحسن الله جزاءك ، وأما شعر الأعشى فما رويته ، ولكني قرأت اليوم قبل خروجي إلى هذا المجلس قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ ﴾

فما بقي أحد في المجلس إلاّ بكى .

---

[1] - صار حكيمًا مهذّبًا ذا تجربة .

[٩٠]- وكان المأمون يقول : إذا وضحت الحجة ؛ ثقل عليّ استماع المنازعة فيها .

[٩١]- وروي أن عامل عمر بن عبد العزيز على حمص كتب إليه :
إن سورها قد استهدم ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في عمارته ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فحصّنها بالعدل ، والسلام .

[٩٢]- وذُكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند عبد الملك بن مروان فقال : قللوا من ذكره فهو طعن على الأئمة ، حسرة على الأمة !

[٩٣]- وكان أعرابيّ باليمامة واليا على الماء ، فإذا اختصم إليه اثنان وأشكل عليه القضاء حبسهما جميعا حتى يصطلحا ، وقال : دواء اللّبس الحبس .

[٩٤]- قال أفلاطون : إذا كبرت النفس استشعرت الخلود فعملت في العاجل ما يبقى لها في الآجل ، وإذا صغرت استشعرت الفناء ، فاستعجلت الأشياء خوفا من فواتها .

[٩٥]- قيل للأحنف : من السيد؟ قال : الذليل في نفسه ، الأحمق في ماله ، المعنيّ بأمر قومه ، الناظر للعامة .

[٩٦]- وقال معاوية : تهاموا فإني هممت بالخلافة فنلتها!

[٩٧] - عبيد الله بن زياد هو قاتل مصعب بن الزبير ، ولما أتي عبد الملك برأسه خرّ عبد الملك ساجدا ، قال عبيد الله : فهممت أن أقتله فأكون أفتك العرب ، قتلت ملكين في يوم واحد!

وأمر له عبد الملك بألف دينار فأبى أن يأخذها وقال : إنما قتلته على وتر لي عنده ، وكان مصعب قتل أخاه النابي بن ظبيان .

[٩٨] - دخل عمارة بن حمزة على المنصور فقعد في مجلسه ، وقام رجل فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين .

قال : ومن ظلمك؟

قال : عمارة غضبني ضيعتي .

فقال المنصور : يا عمارة قم فاقعد مع خصمك .

فقال : ما هو لي بخصم ، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه ، وإن كانت لي فهي له ، ولا أقوم من مجلس قد شرّفني أمير المؤمنين بالرفعة إليه لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة .

[٩٩]- كان المعتصم ينفق أمواله في جمع الرجال وابتياع الغلمان ، وكان العبّاس بن المأمون مشغولا باتخاذ الضّياع .

فكان المأمون كلّما نظر إلى المعتصم تمثل ببيتي أبي عبد الرحمن الأعمى الذي كان مع الحسن بن الحسين بن مصعب : [من الكامل]

يبني الرجال وغيره يبني القرى ... شتان بين مزارع ورجال

قلق بكثرة ماله وسلاحه ... حتى يفرّقه على الأبطال

[١٠٠]- ومن كبر النفس ما روي عن قيس بن زهير العبسي أنه لما تنقّل في العرب احتاج ، فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته .

[١٠١]- دخل النخّار العذريّ على معاوية في عباءة ، فاحتقره معاوية ، فرأى ذلك النخار في وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلّمك ، إنما يكلمك من فيها ، ثم تكلم فملأ سمعه ولم يسأله ، فقال معاوية : ما رأيت رجلا أحقر أوّلا ولا أجلّ آخرا منه .

[١٠٢]- وقال معاوية : طيروا الذمّ في وجوه الصبيان ، فإن بدا في وجوههم الحياء وإلا فلا تطمعوا فيهم .

[١٠٣]- الهرمان بمصر ، يقال : ليس في الأرض بناء أرفع منهما وأن ارتفاع كلّ واحد منهما أربعمائة ذراع في عرض أربعمائة .

ولا يزالان ينخرطان في الهواء صنوبريا حتى ترجع دورتهما إلى مقدار خمسة أشبار في مثلها مبنيّة بحجار المرمر والرخام وكل حجر عشر أذرع إلى ثمان ، وحجارتهما منقولة من مسافة أربعين فرسخا من موضع يعرف بذات الحمام فوق الإسكندريّة ، منقولا فيهما بالمسند كل سحر وطب وطلسم ، وفيه : إني بنيتهما فمن ادّعى قوة في ملكه فليهدمهما ، فإذا خراج الدنيا لا يفي بهدمهما .

وقالوا لا يعرف من بناهما ، قال المتنبيّ : [من الكامل]

تتخلف الآثار عن أصحابها . . . حينا ويدركها الفناء فتتبع

أين الذي الهرمان من بنيانه . . . ما قومه ما يومه ما المصرع

[١٠٤]- وقال الحسن : لقد صحبت أقواما ان الرجل لتعرض له الكلمة من الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها إلاّ مخافة الشهرة .

[١٠٥]- قال معمر : رأيت قميص أيوب السختياني يكاد يمس الأرض .

فقلت : ما هذا؟

فقال : إنما كانت الشهرة فيما مضى في تذييلها واليوم الشهرة في تقصيرها ؛ وكان يقول للخياط : اقطع وأطل فإن الشهرة اليوم في القصر .

[١٠٦]- ودخل عمر بن عبد العزيز على عطاء وهو أسود مفلفل الشعر يفتي الناس في الحلال والحرام فتمثل : [من البسيط]

[١٠٧]- ولما وقعت الفتنة بالبصرة رضوا بالحسن فاجتمعوا عليه وبعثوا إليه ، فلما أقبل قاموا ، فقال يزيد بن المهلب : كاد العلماء يكونون أربابا ، أما ترون هذا المولى كيف قام له سادة العرب؟!

[١٠٨]- وجّه الرشيد إلى مالك بن أنس ليأتيه فيحدثه .
فقال مالك : إن العلم يؤتى ، فصار الرشيد إلى منزله فاستند معه إلى الجدار .
فقال : يا أمير المؤمنين من إجلال الله إجلال العلم ، فقام وجلس بين يديه .
وبعث إلى سفيان ابن عيينة فأتاه وقعد بين يديه وحدّثه . فقال الرشيد بعد ذاك : يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به ، وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به .

[١٠٩]- قال سفيان الثوري : ما رأينا الزهد في شيء أقلّ منه في الرياسة لأنّ الرجل يزهد في الأموال ويسلمها وإذا نوزع في الرياسة لم يسلمها .

[١١٠]- قام وكيع بن الجراح إلى سفيان الثوري فأنكر عليه قيامه ، فقال وكيع : حدثتني عن عمرو بن دينار عن أنس قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم ، فسكت سفيان وأخذ بيده فأجلسه إلى جانبه .

[١١١]- قال ابن المبارك : سألت سفيان الثوريّ من الناس؟ قال : العلماء ، قلت : من الأشراف؟ قال : المتقون ، قلت : من الملوك؟ قال : الزهاد ، قلت : من الغوغاء؟ قال : القصّاص الذين يستأكلون أموال الناس .

[١١٢]- قال الفضيل : لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزّوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله إذن لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس

فكانوا لهم تبعا ، ولكنهم ابتذلوا أنفسهم ، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا ، ووجدوا لغامز فيهم مغمزا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، أعظم بها مصيبة .
نظر إلى هذا المعنى القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فقال : [من الطويل]

ولم أقض حقّ العلم إن كنت كلّما ... بدا طمع صيرته لي سلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة ... إذا فاتباع الجهل قد كان أسلما
فإن قلت جدّ العلم كاب فإنما ... كبا حين لم يحرس حماه وأسلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظّموه في النفوس لعظما
ولكن أذالوه فهان ودنّسوا ... محيّاه بالأطماع حتى تجهما

[١١٣] - قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاث خصال من لم يكنّ فيه لم ينفعه الإيمان :
- حلم يردّ به جهل الجاهل .
- وورع يحجزه عن المحارم .
- وخلق يداري به الناس .

[١١٤]- ومرّ عيسى عليه السلام ببعض الخلق فشتموه ، ثم مر بآخرين فشتموه فكلما قالوا شرا قال خيرا ، فقال له رجل من الحواريين : كلما زادوك شرا زدتهم خيرا كأنك إنما تغريهم بنفسك وتحثهم على شتمك ، فقال : كلّ إنسان يعطي مما عنده .

[١١٥]- وقال الشاعر في نحو ذلك : [من الكامل]
ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني ... فأجوز ثم أقول لا يعنيني

[١١٦]- غضب كعب الأحبار على غلامه فحذفه بالدواة فشجه ، فقيل له : أنت في حلمك تغضب؟ قال : قد غضب خالق الحلم .

[١١٧]- وقال مالك بن أسماء : [من الكامل]

لما أتاني عن عيينة أنه ... عان عليه تظاهر الأقياد

تركت له نفسي الحفيظة إنه ... عند التمكن تذهب الأحقاد

[١١٨]- وفي بعض الكتب أن كثرة العفو زيادة في العمر ، وأصله قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

[١١٩]- كان يقال : من تطاول على جاره ، حرم بركة داره .

[١٢٠] - قدّم أعرابيّ رجلا إلى القاضي واستعدى عليه ، وتقدم شاهدان فقالا : نشهد أنه قد ظلم الأعرابيّ ، فقال الأعرابيّ : كذبا ما ظلمني ولكنّه لوى حقي ، (كأنه أنف أن يكون مظلوما!) .

[١٢١]- ومن الحمية المنكرة ما فعله عبد العزيز بن أبي دلف : كان له جارية يرى الدنيا بعينها فضرب عنقها وقال : خفت أن أموت من حبها فتنام هي بعدي تحت غيري!

[١٢٢]- عيّر شريف النسب سقراط بسقوط نسبه ، فقال : نسبي عار عليّ ، وأنت عار على نسبك .

[١٢٣]- نادرة في رياسة العلم : قال حماد بن سلمة : مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاته[١] لا شعير فيها .

---

١ - كيس يُعَلَّق على رقبة الدابّة

[١٢٤] - وقالت عائشة رضي الله عنها : مكارم الأخلاق عشر : صدق الحديث ، وصدق البأس ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ، والتذمم للجار ، والتذمم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهنّ الحياء .

[١٢٥]- وقيل ليوسف عليه السلام : أتجوع وخزائن الدنيا بيدك؟
قال : أخاف أن أشبع فأنسى الجياع .

[١٢٦]- وقال عبد الله بن مسعود : كنا يوم بدر كلّ ثلاثة على بعير ، فكان عليّ وأبو لبابة زميلي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكانا إذا دارت عقبتهما قالا : يا رسول الله اركب ونمشي عنك ، فيقول : ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما .

[١٢٧]- وقيل : سوء الخلق يعدي لأنّه يدعو صاحبه إلى أن يقابله بمثله .

[١٢٨]- وقيل : شرّ الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئا .

[١٢٩]- وقيل : الحسود غضبان على القدر ، والقدر لا يعتبه .

[١٣٠]- وقيل : يكفيك من الحاسد أنه يغتمّ في وقت سرورك .

[١٣١]- وقال المغيرة بن حبناء : [من الطويل]

فإن يك عارا ما لقيت فربّما ... أتى المرء يوم السّوء من حيث لا يدري
ولم أر ذا عيش يدوم ولا أرى ... زمان الغنى إلاّ قريبا من الفقر
ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ... ومن يحي لا يعدم بلاء من الدهر
وإني لأستحيي إذا كنت معسرا ... صديقي والخّلان أن يعلموا عسري
وأهجر خلاّني وما خان عهدهم ... حياء وإعراضا وما بي من كبر

وأكرم نفسي أن ترى بي حاجة ... إلى أحد دوني وإن كان ذا وفر
ولما رأيت المال قد حيل دونه ... وصدّت وجوه دون أرحامها البتر
جعلت حليف النفس عضبا ونثرة ... وأزرق مشحوذا كخافية النسر
ولا خير في عيش امرىء لا ترى له ... وظيفة حقّ في ثناء وفي أجر

[١٣٢]- وقال آخر : [من الطويل]
وإني لألقى المرء أعلم أنه ... عدوّ وفي أحشائه الضّغن كامن
فأمنحه بشري فيرجع قلبه ... سليما وقد ماتت لديه الضغائن

[١٣٣]- قال يحيى بن أكثم : ماشيت المأمون في بستانه ويده في يدي ، فكان في الظلّ وأنا في الشمس ، فلما بلغنا ما أردنا ورجعنا صرت أنا في الفيء وصار هو في الشمس ، فدرت أنا إلى الشمس فقال : لا ليس هذا بإنصاف ، كما كنت أنا في الفيء ذاهبا فكن أنت في الفيء راجعا .

[١٣٤]- مرّ عبد العزيز بن مروان بمصر فسمع امرأة تصيح بابنها : يا عبد العزيز ، فوقف وقال : من المسمّى باسمنا؟ ادفعوا إليه خمسمائة دينار ، فما ولد في أيامه مولود بمصر إلا سمي عبد العزيز!

[١٣٥]- قال أحدهم : [من الطويل]
وكم من صديق ودّه بلسانه ... خؤون بظهر الغيب لا يتذمّ
كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا ... وفي غيبه إن غاب صاب وعلقم

[١٣٦]- قال رجل للأحنف : دلّني على رجل كثير العيوب ، قال : اطلبه عيّابا فإنما يعيب الناس بفضل ما فيه .

[١٣٧]- وقال سفيان بن عيينة ، وذكر عنده البغي : أراد إخوة يوسف أن يذلّوه فما برح بهم الدهر حتى قالوا : ﴿ يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ .

[١٣٨]- وكان أبو حنيفة سهل الأخلاق جوادا سمحا حسن الجوار مغضيا عمن يسيء إليه مسامحا له ؛ وقيل : إن رجلا أتاه فقال : معي عشرة آلاف درهم كتبت على لسانك كتابا إلى الأمير بجرجان فوهبها لي ، وهي لك وقد أحضرتها ، فقال : بارك الله لك فيها ، ومن استطاع منكم أن يفعل كما فعل فقد أذنت له في ذلك!

[١٣٩] - استعان عمر بن عبد العزيز برجل كريه المنظر فوجده حسن المخبر ، فقال : ﴿ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً ﴾ .

[١٤٠]- الفضيل : لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحبّ إليّ من أن يصحبني عابد سيّىء الخلق . إن الفاسق إذا حسن خلقه خفّ على الناس وأحبوه ، والعابد إذا ساء خلقه ثقل عليهم ومقتوه .

[١٤١] - وقيل لبعضهم : أسأت الظن ، فقال : إن الدنيا لما امتلأت مكاره وجب على العاقل أن يملأها حذرا .

[١٤٢]- قال بعض الشعراء : [من الوافر]

وربّ قبيحة ما حال بيني . . . وبين ركوبها إلا الحياء
إذا رزق الفتى وجها وقاحا . . . تقلّب في الأمور كما يشاء

[١٤٣]- لما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته ، فقيل له : ألا تتكلم؟ فقال : الكلام صيّرني في بطن الحوت .

[١٤٤]- قيل لسقراط : هل من إنسان لا عيب فيه؟ قال : لو كان انسان لا عيب فيه لكان لا يموت!

[١٤٥]- قال روح بن زنباع : أقمت مع عبد الملك تسع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا إلا مرّة ، فقال : قد سمعته منك . وقال الشعبي : ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه .

[١٤٦]- والنوم على أنواع ثلاثة : نومة الخرق ، ونومة الخلق ، ونومة الحمق .

- نومة الخرق : نومة الضحى .
- ونومة الخلق : هي التي أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بها أمته : قيلوا فإن الشيطان لا يقبل .
- ونومة الحمق : النوم بعد العصر ، لا ينامها إلا سكران أو مجنون .

[١٤٧]- قال مالك بن دينار : شهادة القراء مقبولة في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض ، فأنهم أشد تحاسدا من السوس في الوبر .

[١٤٨]- قيل لبعض الفلاسفة : لم تعق والديك؟ قال : لأنهما أخرجاني إلى الكون والفساد!!

[١٤٩]- اجتمع ثلاثة حسّاد فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك؟ فقال ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيرا قط ، قال الثاني : أنت رجل صالح ، ولكني ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط ، قال الثالث : ما في الأرض أصلح منكما ، ولكني ما اشتهيت أن يفعل بي أحد خيرا قط!

[١٥٠] - قال أبو العيناء : رأيت جارية في النّخاسين تحلف لا ترجع إلى مولاها ، فقلت : لمه؟ قالت : يا سيدي يواقعني من قيام ويصلّي من قعود ، ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ، ويصوم الاثنين والخميس ويفطر في رمضان ، ويصلي الضحى ويترك الفجر .

[١٥١]- حكي أن اعرابيا أخذ جرو ذئب فربّاه بلبن شاة عنده ، فقال : إذا ربيته مع الشاء أنس بها فيذبّ عنها ويكون أشدّ من الكلب ، ولا يعرف طبع أجناسه ، فلما قوي وثب على شاته فافترسها ، فقال الأعرابي : [من الوافر]

أكلت شويهتي ونشأت فينا . . . فمن انباك أن أباك ذيب؟!

[١٥٢]- قال رجل ملول : إنه ليبلغ من مللي أني أغيّر كلّ شهر كنيتي مرتين .

[١٥٣]- ضرب رجل أباه فقيل له : أما عرفت حقّه؟ قال : لا فإنه لم يعرف حقّي ، قيل : وما حقّ الولد على الوالد؟ قال : أن يتخير أمّه ، ويحسن اسمه ، ويختنه ، ويعلمه القرآن ، فكشف عن عورته فإذا هو أقلف ، وقال : اسمي برغوث ، ولا أعلم حرفا من القرآن ، وقد أولدني من زنجية ، فقالوا للوالد : احتمله فانك تستأهل .

[١٥٤]- وقال بعض السلف : منع الموجود سوء ظنّ بالمعبود ، وتلا ﴿ وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

[١٥٥]- وقال آخر : الصبر عند الجود أخو الصبر عند البأس .

[١٥٦]- عظم على طيء موت حاتم فادعى أخوه أن يخلفه ، فقالت له أمه : هيهات فشتان ما بين خلقيكما ، وضعته فبقي سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت أحد ثديي طفلا من الجيران ، وكنت أنت راضعا أحدهما وآخذا الآخر بيدك ، فأنى لك؟!

[١٥٧] - كانت العرب تسمي الكلب داعي الضمير ، وهادي الضمير ، وداعي الكرم ، ومتمم النعم ، ومشيد الذكر ، لما يجلب من الأضياف بنباحه .
والضمير : الضيف الغريب ، من أضمرته البلاد إذا غيبته ؛ وكانوا إذا اشتد البرد وهبّت الرياح ولم تثبت النيران فرقوا الكلاب حوالي الحيّ وجعلوا لها مظالّ ، وربطوها إلى العمد لتستوحش فتنبح فتهدي الضلاّل .

[١٥٨] - وقف أعرابيّ على محمد بن معمر ، وكان سخيا ، فسأله فخلع خاتمه وأعطاه وقال له : لا تخدعنّ عن هذا الفصّ فانه قام علي بمائة دينار ، فهشم الأعرابيّ الخاتم وقلع فصّه وقال : دونكه ، فالفضّة تكفيني أياما فقال :
هذا والله أجود مني .

[١٥٩]- بخلاء العرب أربعة : الحطيئة وحميد الأرقط وأبو الأسود الدؤلي وخالد بن صفوان .

[١٦٠]- وأما خالد بن صفوان فكان إذا أخذ جائزته قال للدرهم : والله لطالما سرت في البلاد ، أما والله لأطيلنّ ضجعتك ولأديمن صرعتك .

[١٦١]- قال أنو شروان لأصحابه : أيّ شيء أضرّ على الإنسان؟
قالوا : الفقر ، قال : الشحّ أضرّ منه ، لأنّ الفقير إذا وجد اتسع ، والشحيح لا يتّسع وإن وجد .

[١٦٢]- كان الثوري يقول لعياله : لا تلقوا نوى التمر والرطب وتعوّدوا ابتلاعه فإن النوى يعقد الشحم في البطن ، ويدفىء الكليتين ، واعتبروا ذلك ببطون الصفايا وجميع ما يعتلف النوى ، والله لو حملتم أنفسكم على قضم الشعير واعتلاف القتّ لوجدتموها سريعة

القبول فقد يأكل الناس القتّ قداحا والشعير فريكا ونوى البسر الأخضر والعجوة ، وأنا أقدر أن أبيع النوى وأعلفه الشاء ، ولكن أقول هذا بالنظر لكم .

[١٦٣]- قال أبو العيناء : أضقت إضاقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي ، فدخلت على يحيى ابن أكثم القاضي فقال لي : إن أمير المؤمنين عبد الله المأمون قد جلس للمظالم وأخذ القصص ، فتنشط للحضور؟ فقلت : نعم ، فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين ، فلما بصر بنا أجلس يحيى ثم أجلسني فقال : يا أبا العيناء ، بالألفة والمحبة ما جاء بك في هذه الساعة؟ فانشأت أقول : [من البسيط]

فقد رجوتك دون الناس كلهم . . . وللرجاء حقوق كلّها يجب

إلا تكن لي أسباب أمتّ بها . . . ففي العلى لك أخلاق هي السبب

فقال : يا سلامة ، انظر أيّ شيء في بيت مالنا وخاصّنا لا في بيت مال المسلمين ، فقال : بقية من مال ، فقال : ادفع إليه منها مائة ألف وأدررها عليه في كل وقت مثل هذا ، فقبضها ؛ فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون ، فبكى عليه أبو العيناء حتى قرحت عيناه ، فدخل عليه بعض ولده فقال له : يا أبتاه بعد ذهاب العين ما يغني البكاء؟ فأنشأ يقول : [من الكامل]

شيئان لو بكت الدماء عليهما . . . عيناي حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقّيهما . . . فقد الشباب وفرقة الأحباب

[١٦٤] – وكان الزهري إذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة أيّام .

[١٦٥]- تعشى الناس عند سعيد بن العاص ، فلما خرجوا بقي فتى من الشام قاعدا ، فقال له سعيد : ألك حاجة؟ واطفأ الشمعة كراهة أن يحصر الفتى عن حاجته ، فذكر أن أباه مات وخلّف دينا وعيالا ، وسأله أن يكتب له إلى أهل دمشق ليقوموا بإصلاح بعض شأنه ، فأعطاه عشرة آلاف دينار وقال :

لا تقاس الذلّ على أبوابهم .
قال بعض القرشيين : والله لإطفاؤه الشمعة أكثر من عشرة آلاف .

[١٦٦] - كان يقال لإبراهيم الخليل عليه السلام أبو الضيفان لأنه أول من قرى الضيف وسنّ لأبنائه العرب القرى ، وكان إذا أراد الأكل بعث أصحابه ميلا إلى ميل يطلبون ضيفا يؤاكله .

[١٦٧] - دخل الحسن البصري على عبد الله بن الأهتم يعوده في مرضه ، فرآه يصوّب النظر في صندوق في بيته ويصعّده ثم قال : أبا سعيد ، ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤدّ منها زكاة ولم أصل منها رحما؟ قال :

ثكلتك أمك ، ولمن كنت تجمعها؟ قال : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومكاثرة العشيرة . قال : ثم مات فشهده الحسن ، فلما فرغ من دفنه قال :

انظروا إلى هذا المسكين ، أتاه شيطانه فحذّره روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، ومكاثرة عشيرته عما رزقه الله إياه وعمره فيه ، انظروا إليه كيف خرج منه محروبا .

ثم التفت إلى الوارث فقال : أيها الوارث لا تخدعنّ كما خدع صاحبك بالأمس ، أتاك المال حلالا ، فلا يكوننّ عليك وبالا ، أتاك عفوا صفوا ممن كان له جموعا منوعا ، من باطل جمعه ، ومن حقّ منعه ، قطع فيه لجج البحار ، ومفاوز القفار ، ولم تقدح فيه بيمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، إنّ يوم القيامة يوم ذو حسرات ، وإنّ من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك في ميزان غيرك ، فيا لها عثرة لا تقال وتوبة لا تنال .

[١٦٨]- كتب أنوشروان إلى ابنه هرمز لا تعدّ الشحيح أمينا ، ولا الكذاب حرّا فإنه لا عفّة مع الشح ، ولا مروءة مع الكذب .

[١٦٩]- قال بعضهم : دخلت الكوفة فرأيت صبيا ومعه رغيف ، وهو يكسر منه لقمة ويومىء بها إلى شقّ في حائط يخرج منه دخان ثم يأكلها ، فبقيت متعجبا منه ،

ووافاه أبوه فسأله عن ذلك فقال الصبيّ : هذه دار فيها عرس ، وقد طبخوا سكباجة حامضة ، فأنا أتأدم برائحتها ، فصفعه أبوه صفعة شديدة وقال له : تريد أن تعوّد نفسك أن لا تأكل خبزك إلا بأدم!!

[١٧٠]- لقي أعرابيّ رجلا من الحاجّ فقال : ممن الرجل؟ قال : باهليّ فقال : أعيذك بالله من ذاك ، قال : أي والله وأنا مع ذلك مولى لهم ، فأقبل الأعرابيّ يقبّل يديه ويتمسّح به ، فقال له الرجل : لم تفعل ذلك؟ قال :
لأني أثق بأنّ الله عز وجل لم يبتلك بهذا في الدنيا إلا وأنت من أهل الجنة .

[١٧١]- قال بعضهم لبخيل : لم لا تدعوني؟ قال : لأنك جيد المضغ سريع البلع ، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى ، قال فتريد مني إذا أكلت لقمة أصلّي ركعتين ثم أعود إلى الثانية؟!

[١٧٢]- لما قال أبو العتاهية : [مجزوء الكامل]

سافر بطرفك حيث شئـ . . . ـت فلن ترى إلا بخيلا

قيل له : بخّلت الناس كلّهم ، قال : فاكذبوني بواحد؟!

[١٧٣]- قيل للمهلب بن أبي صفرة : ما أعجب ما رأيت في حرب الأزارقة؟ فقال : فتى كان يخرج إلينا منهم في كل غداة فيقف ويقول : [من الطويل]

وسائلة بالغيب عني ولو درت . . . مقارعتي الأبطال طال نحيبها

إذا ما التقينا كنت أوّل فارس . . . يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شيء إلا أقعده فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلك .

[١٧٤]- لم يكن في بني العبّاس أشجع من المعتصم ، ولا أشدّ قلبا وأيدا ، ولا أحسن تيقظا في الحرب ، وكان من شدته يسمي ما بين إصبعيه السبابة والوسطى «المقطرة»

، واعتمد بها مرة على ساعد إنسان فدقّه ، وكتب إليه ملك الروم يتهدّده ، فأمر بكتب جوابه فلما قرىء عليه لم يرضه وقال للكاتب : اكتب ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فقد قرأت كتابك والجواب ما ترى لا ما تسمع ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ .

[١٧٥]- وقال ابن أبي دواد : كان المعتصم يقول لي : يا أبا عبد الله عضّ ساعدي بأكثر قوتك ، فأقول : والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك ، فيقول : إنه لا يضرّني ، فأروم ذلك ، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنّة فكيف الأسنان؟

[١٧٦]- وكان عمرو بن معدي كرب موصوفا بالأيد والشدة عظيم الخلقة ، جاء إليه رجل وهو واقف بالكناسة على فرس له وقد أسنّ ، فقال :
لأظنّ ما بقي من قوة أبي ثور ، فأدخل يده بين ساقه وبين السرج ، وفطن له عمرو فضمّها عليه وحرك فرسه ، فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده ، حتى إذا بلغ منه قال : يا ابن أخي مالك؟ قال : يدي تحت ساقك ، فخلّى عنه وقال : يا ابن أخي إن في عمك لبقية بعد .

[١٧٧]- لما دخلت غزالة الحروريّة الكوفة على الحجاج ومعها شبيب تحصّن منها وأغلق قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان ، وكان الحجاج قد لجّ في طلبه : [من الكامل]

أسد عليّ وفي الحروب نعامة . . . ربداء تجفل من صفير الصافر
هلاّ برزت إلى غزالة في الوغى . . . بل كان قلبك مثل قلب الطائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس . . . تركت مدابره كأمس الدابر

[١٧٨]- قيل لعنترة : أأنت أشجع العرب وأشدّها؟ قال : لا ، قيل له : فبم شاع لك هذا في الناس؟ قال : كنت أقدم اذا رأيت الإقدام عزما ، وأحجم إذا رأيت الأحجام حزما ، ولا أدخل موضعا لا أرى فيه مخرجا لي ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأنثني عليه فأقتله .

[١٧٩] - لقي تأبط شرا ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وهب ، وكان جبانا أهوج ، وعليه حلّة جيّده ، فقال أبو وهب لتأبط شرا : بم تغلب الرجال يا ثابت ، وأنت كما أرى دميم ضئيل؟

قال : باسمي ، إنما أقول ساعة ألقى الرجل : أنا تأبط شرا فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثقفي : فهل لك أن تبيعني اسمك؟

قال : نعم ، فبم تبتاعه؟ قال : بهذه الحلّة وكنيتي ، قال : افعل ، ففعل ، وقال له : لك اسمي ولي اسمك وأخذ حلّته وأعطاه طمريه ثم انصرف وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي : [من الطويل]

ألا هل أتى الحسناء أنّ حليلها . . . تأبط شرا واكتنيت أبا وهب

فهبه تسمّى اسمي وسمّاني اسمه . . . فأين له صبري على معظم الخطب

وأين له بأس كبأسي وسورتي . . . وأين له في كلّ فادحة قلبي

[١٨٠] - روي أن امرأة عمران بن حطان قالت له : ألم تزعم أنك لا تكذب في شعرك؟ قال : بلى ، قالت : أفرأيت قولك : [الكامل المجزوء]

وكذاك مجزأة بن ثو . . . ر كان أشجع من أسامه

أيكون رجل أشجع من أسامة؟ قال : نعم ، إن مجزأة بن ثور فتح مدينة كذا وكذا ، والأسد لا يقدر على فتح مدينة!

[١٨١]- وذكر المفضل أن الناس لما التقوا مع العجم يوم قسّ الناطف [لما التقوا يوم القادسية] كان مع الأعاجم فيل يكرّ عليهم ، فلا تقوم له الخيل ، فقال أبو عبيد ابن مسعود الثقفي : هل له مقتل؟

فقيل له : نعم خرطومه ، إلا أنه لا يفلت منه من ضربه ، فقال : أنا أهب نفسي لله ، وكمن له حتى أقبل فوثب إليه فضرب خرطومه ، ثم استدار فطحن الأعاجم وانهزموا .

[١٨٢]- قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمعاوية : إني لأعجب لك ، تتقدم حتى أقول : أشجع الناس ، وتتأخر حتى أقول : أجبن الناس ، فقال له : إنني أتقدّم ما كان التقدم حزما ، وأتأخر ما كان التأخر حزما كما قيل : [من الطويل]

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة ... فإن لم تكن لي فرصة فجبان

[١٨٣]- وفد ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن ، فحسده ، فأراد أن يكسره فقال : أأنت الذي أوصاك أبوك بقوله : [من الطويل]

إذا متّ فادفنّي إلى أصل كرمة ... تروّي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفننّي بالفلاة فانني ... أخاف إذا ما متّ أن لا أذوقها

فقال : بل أنا الذي يقول أبي : [من البسيط]

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته ... وسائل الناس ما جودي وما خلقي

أعطي الحسام غداة الروع حصّته ... وعامل الرمح أرويه من العلق

ويعلم الناس أني من سراتهم ... إذا سما بصر الرعديدة الفرق

وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض ... واكتم السرّ فيه ضربة العنق

[١٨٤]- قال الاسكندر في الحرب : احتل للشمس والريح بأن تكونا لك ولا تكونا عليك ؛ حبّب إلى عدوّك الفرار بأن لا تتبعهم إذا انهزموا .

[١٨٥] - دخل أعرابي البصرة في يوم جمعة ، والناس في الصلاة ، فركع معهم فزحموه ، فرفع يده ولطم الذي يليه ، وأخذ يزاحم ويقول في صلاته : [من الرجز]

إن تزحماني تجداني مزحما ... عبل الذراعين شديدا ملطما

[١٨٦]- كان بهلول يوما جالسا والصبيان يؤذونه ، وهو يقول : لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، يعيدها مرارا ، فلما طال أذاهم له أخذ عصاه وقال :

حمي الوطيس وطابت الحرب ، وأنا على بيّنة من ربي تعالى ، ثم حمل عليهم وهو يقول : [من الوافر]

أشدّ على الكتيبة لا أبالي . . . أفيها كان حتفي أم سواها

فتساقط الصبيان بعضهم على بعض وتهاربوا ، فقال : هزم القوم وولّوا الدبر ، أمرنا أمير المؤمنين ألاّ نتبع موليّا ولا نذفّف على جريح ، ثم رجع وجلس وطرح عصاه وقال : [من الطويل]

فألقت عصاها واستقّرت بها النوى . . . كما قرّ عينا بالإياب المسافر

[١٨٧]- قال فيلسوف لأهل مدينته : ليت طبيبكم كان صاحب جيشكم ، فإنه قد قتل الخلق وليت صاحب جيشكم كان طبيبكم فإنه لا يقتل أحدا قط .

[١٨٨] - قال بعض الشجعان لرفيق له وقد أقبل العدوّ : اشدد قلبك ، قال : أنا أشدّه ولكنه يسترخي!

[١٨٩] - والعرب تضرب المثل في الوفاء بالسموأل ، وهو ابن عريض بن عادياء الأزدي ، وقيل هو من ولد الكاهن ابن هارون بن عمران . وكان من خبره أنّ امرأ القيس بن حجر أودعه أدراعا مائة ، فأتاه الحارث بن ظالم (ويقال : الحارث بن أبي شمر الغساني) ليأخذها منه ، فتحصّن منه السموأل ، فأخذ ابنا له غلاما وناداه : إما إن أسلمت إليّ الأدراع وإما إن قتلت ابنك ، فأبى السموأل أن يسلم الأدراع إليه ، فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه ، فقال السموأل : [من الوافر]

وفيت بأدرع الكنديّ إني . . . إذا ما ذمّ أقوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بأن لا . . . تهدّم يا سموأل ما بنيت

بنى لي عاديا حصنا حصينا . . . وماء كلما شئت استقيت

[١٩٠] - قيل إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وتشوّقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه .

[١٩١] - خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب إلى بعض جبابين الشام ، وإذا امرأة جالسة عند قبر تبكي ، فجاء سليمان فرفعت البرقع عن وجهها ، فجلت شمسا عن متون غمامة ، فوقفا متعجبين ينظران إليها ، فقال لها يزيد بن المهلب : يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا؟ فنظرت إليهما ثم نظرت إلى القبر فقالت : [من الطويل]

فلا تسألاني عن هواي فإنه . . . بحوماء هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والترب بيننا . . . كما كنت أستحييه وهو يراني

[١٩٢]- وتقول العرب أيضا : جزاني جزاء سنمّار ، وهو بنّاء غدر به النعمان ابن الشقيقة اللخمي ، والشقيقة أمه ، وهو الذي ساح وتنصّر . وكان من حديث غدره بسنمّار أنّ يزدجرد بن سابور كان لا يعيش له ولد ، فسأل عن منزل صحيح مريء فدلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا ، وهو عامله على أرض العرب ، وأمره أن يبني الخورنق مسكنا له ولا بنه ، وينزله إيّاه ، وأمره بإخراجه إلى وادي العرب . وكان الذي بنى الخورنق رجل يقال له سنمّار ، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله فقال : لو علمت أنكم توفّوني أجرتي وتصنعون بي ما أستحقّه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت ، فقالوا :

وإنك لتبني ما هو أفضل منه ولم تبنه؟ ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق .

وروي أنه قال : إني لأعرف في هذا القصر موضع عيب إذا هدم تداعى القصر أجمع ، فقال : أم والله لا تدلّ عليه أبدا ، فذلك قول أبي الطّمحان القيني : [من الطويل]

جزاء سنمار جزاها وربّها . . . وباللاّت والعزّى جزاء المكفّر

[١٩٣]- قال المنصور لعامل بلغته عنه خيانة : يا عدوّ الله وعدوّ أمير المؤمنين ، أكلت مال الله؟ قال : يا أمير المؤمنين نحن عيال الله ، وأنت خليفة الله ، والمال مال الله ، فمال من نأكل إذن؟ فضحك وقال : خلّوه ولا تولّوه .

[١٩٤]- قال رجل لعبد الملك بن مروان : إني أريد أن أسرّ إليك شيئا ، فقال له عبد الملك : قف ، لا تمدحني فإني أعلم بنفسي ، ولا تكذبني فإنّه لا رأي لمكذوب ، ولا تغتب عندي أحدا . فقال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن في الانصراف؟
قال : إذا شئت .

[١٩٥]- قال المبرد : تكاذب أعرابيّان فقال أحدهما : خرجت مرة على فرس فإذا بظلمة شديدة فيمّمتها حتى وصلت إليها فإذا قطعة من الليل لم تنتبه ، فما زلت أحمل عليها بفرسي حتى أنبهتها فانجابت . فقال الآخر : لقد رميت ظبية مرة بسهم فعدل الظبي يمنة فعدل السهم خلفه ، ثم تياسر فتياسر السهم ، ثم علا الظبي فعلا السهم ، ثم انحدر فأخذه .

[١٩٦]- وقيل : الأذلاّء أربعة : النمام والكذاب والمديون والفقير .

[١٩٧]- ولغو اليمين عند الشافعي ما وقع من غير قصد ماضيا كان أو مستقبلا مثل قوله : لا والله ، بلى والله . وقال أبو حنيفة : لغو اليمين الحلف على الماضي من غير أن يقصد الكذب في يمينه ، كأنه يظنّ شيئا فيحلف عليه ، وهو إحدى الروايتين عند أحمد ، والأخرى مثل الشافعي . وحكي عن مالك أنه قال :
هو اليمين الغموس .

[١٩٨]-الحلف بالقرآن يكون عند الشافعي يمينا . قال أبو حنيفة : لا يكون ذلك يمينا .

[١٩٩]- وقال سليمان بن سعد : لو صحبني رجل وقال : لا تشترط عليّ إلا شرطا واحدا لقلت له : لا تكذبني .

[٢٠٠]- وقيل : إيّاك وحكاية ما يستبعد فيجد عدوّك سبيلا إلى تكذيبك .

[٢٠١] - قرع قوم الباب على الجاحظ(وكان دميما) ، فخرج غلامه فسألوه ما يصنع ، فقال : يكذب على الله ، قالوا : كيف؟ قال : نظر في المرآة فقال : الحمد لله الذي خلقني وأحسن صورتي .

[٢٠٢]- وروي أنّ عمر بن الخطاب خرج وعلى ظهره قربة ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ما هذا ؟ قال : إنّ نفسي أعجبتني فأحببت أن أذلّها .

[٢٠٣]- وقالوا : المتواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها .
ونظر إلى هذا المعنى ابن المعتز فقال : متواضع العلماء أكثرهم علما كما أنّ المكان المنخفض أكثر الأماكن ماء .

[٢٠٤]- وقال عليّ بن موسى : القناعة تجمع إلى صيانة النفس ، وعزّ القدرة طرح مؤن الاستكثار والتعبّد لأهل الدنيا . ولا يسلك طريق القناعة إلاّ رجلان :
إمّا متقلّل يريد أجر الآخرة ، أو كريم يتنزّه عن لئام الدنيا .

[٢٠٥] - قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان : إياكم والطمع فإنه يردي ، والله لقد هممت أن أفتك بالحجاج ، فإني لواقف على بابه بدير الجماجم إذا أنا بالحجاج قد خرج على دابة ليس معه غير غلام ، فأجمعت على قتله ، فكأنه عرف ما في نفسي فقال :

ألقيت ابن أبي مسلم؟ قلت : لا ، قال : فالقه ، فإنّ عهدك معه على الريّ . قال : فطمعت وكففت عنه ، وأتيت يزيد بن أبي مسلم فسألته فقال : ما أمرني بشيء .

[٢٠٦]- رئي بهلول في مقبرة فقيل له : هلاّ خالطت الناس؟ فقال : إني بين قوم إن حضرت لم يؤذوني ، وإن غبت لم يغتابوني .

قيل له : فادع الله تعالى فإنّ الناس في ضرّ وشدة من الغلاء ، فقال : وما عليّ من ذاك ولو بلغت الحبة دينارا ، وإنما عليّ أن أعبد الله تعالى كما أمرني ، وعليه أن يرزقني كما وعدني .

[٢٠٧]- قال فيلسوف : الإنسان يزداد على كثرة المال نهما كما تزداد النار على الحطب ضرما .

[٢٠٨]- قال عمر بن عبد العزيز : تعلّموا العلم فإنه عون للفقر ، أما إني لا أقول تطلب به الدنيا ولكن يدعو إلى القنوع .

[٢٠٩]- التقى عبد الرحمن بن عوف وأبو ذر ، فقبّل عبد الرحمن ما بين عيني أبي ذرّ لكثرة سجوده ، وقبّل أبو ذرّ يمين عبد الرحمن لكثرة صدقته . فلما افترقا بعث إليه عبد الرحمن ببدرة وقال لغلامه : إن قبلها منك فأنت حرّ ، فأبى أن يقبلها . فقال الغلام : اقبل رحمك الله ، فإنّ في قبولك عتقي ، فقال أبو ذرّ : إن كان عتقك فيه فإنّ فيه رقّي ، وردّها .

[٢١٠]- وكان لأشعب خرق في بابه ، فينام ويخرج يده من الخرق ، يطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يده شيئا .

[٢١١]- وقال عمرو بن العاص : إذا أنا أفشيت سرّي إلى صديقي فأذاعه ، فهو في حلّ ، فقيل له : وكيف ذاك؟ قال : أنا كنت أحقّ بصيانته .

[٢١٢]- قول امرىء القيس : [من الطويل]

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه . . . فليس على شيء سواه بخزّان

[٢١٣]- آخر : [من الطويل]

أمنت على السرّ امرءا غير حازم . . . ولكنّه في النصح غير مريب

أذاع به في الناس حتى كأنّه . . . بعلياء نار أوقدت بثقوب

[٢١٤]- ضرط رجل بحضرة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، فلما حضرت الصلاة قال عمر : عزمت على من كانت هذه الضرطة منه إلاّ توضّأ ، فقال جرير بن عبد الله البجلي : لو عزمت علينا جميعا أن نتوضّأ كان أستر للرجل وأكرم في الفعل . فقال عمر : جزاك الله خيرا ، فلقد كنت سيّدا في الجاهلية ، وأنت سيّد في الاسلام ، عزمت عليكم إلاّ توضّأتم . ثم قاموا جميعا ، وسترت على الرجل .

[٢١٥]- انقطع عبد الملك بن مروان عن أصحابه فانتهى إلى أعرابيّ فقال له : أتعرف عبد الملك؟ قال : نعم جائر بائر ، قال : ويحك ، أنا عبد الملك بن مروان ، قال : لا حيّاك الله ولا بيّاك ولا قرّبك ، أكلت مال الله وضيّعت حرمته .

قال : ويلك أنا أضرّ وانفع ، قال : لا رزقني الله نفعك ، ولا دفع عني ضرّك . فلما وصلت خيله قال : يا أمير المؤمنين ، اكتم ما جرى فالمجالس بالأمانة .

[٢١٦]- وانصرف شريح يوما من مجلس القضاء ، فلقيه رجل فقال : أما حان لك يا شيخ أن تخاف الله تعالى وتستحيي؟ قال : ويلك من أيّ شيء؟

قال : كبرت سنّك ، وفسد ذهنك ، وكثر نسيانك ، وأدهن كاتبك ، وارتشى ابنك ، فصارت الأمور تجوز عليك . قال : لا والله لا يقولها لي بعدك أحد ، واعتزل عن القضاء ولزم

بيته . وقضى شريح بالكوفة ستين سنة ، ولاّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبقي إلى أيّام الحجاج .

[٢١٧]- قال الأحنف : ما عرضت الإنصاف قطّ على رجل فقبله إلاّ هبته [حط منه أو من قدره] ، ولا أباه إلاّ طمعت فيه .

[٢١٨] - قال محمد بن حريث : بلغني أنّ نصر بن عليّ أرادوه على القضاء بالبصرة ، واجتمع الناس إليه فكان لا يجيبهم ، فلما ألحّوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءته على وجهه وقال : اللهمّ إن كنت تعلم أني لهذا كاره فاقبضني إليك ، فقبض .

[٢١٩]- كتب عبيد بن ثابت مولى بني عبس إلى عليّ بن ظبيان قاضي بغداد : بلغني أنك تجلس للحكم على باريّ ، وكان من قبلك من القضاة يجلسون على وطاء ويتكئون ، فكتب إليه : والله إني لأستحيي إن جلس بين يديّ رجلان حرّان مسلمان على باريّ وأنا على وطاء ، لست أجلس إلاّ على ما يجلس عليه الخصوم .

[٢٢٠]- قال سقراط : ينبوع فرح الإنسان القلب المعتدل ، وينبوع فرح العالم الملك العادل ، وينبوع حزن الإنسان القلب المختلف المزاج ، وينبوع حزن العالم الملك الجائر .

[٢٨١]- مرّ عامر بن بهدلة برجل قد صلبه الحجاج فقال : يا ربّ إنّ حلمك عن الظالمين قد أضرّ بالمظلومين ، فرأى في منامه أنّ القيامة قد قامت ، وكأنه قد دخل الجنة ، فرأى المصلوب فيها في أعلى علّيين ، وإذا مناد ينادي :
حلمي عن الظالمين أحلّ المظلومين في أعلى علّيين!

[٢٨٢]- قال ابن دريد ، قال أبو حاتم : فاتني نصف العلم ، فقيل له :

وكيف ذاك؟ قال تصدّرت ولم أكن للتصدّر أهلا ، واستحييت أن أسأل من دوني ، واختلف إليّ من فوقي ، فذلك الجهل في نفسي إلى اليوم .

[٢٨٣]- وقال اليوسفي الكاتب : كنت يوما عند أبي حاتم السجستاني إذ أتاه شابّ من أهل نيسابور فقال له : يا أبا حاتم إنّي قدمت بلد كم وهو بلد العلم والعلماء ، وأنت شيخ أهل المدينة ، وقد أحببت أن أقرأ عليك كتاب سيبويه .
فقال له : الدين النصيحة ، إن أردت أن تنتفع بما تقرأه فاقرأ على هذا الغلام محمد ابن يزيد ، فتعجبت من ذلك .

[٢٨٤]- قال أبو الدرداء : إياك ودعوة اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام .

[٢٨٥]- قال منصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراده على القضاء : ما كنت لألي لك بعد ما حدّثني إبراهيم . قال : وما حدّثك؟ قال : حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظّلمة وأعوان الظّلمة وأشباه الظّلمة حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواة ، فيجمعون في تابوت حديد ثم يرمى بهم في جهنم .

[٢٨٦]- وخطب - الحجاج - مرّة فقال : أتزعمون أنّي شديد العقوبة ، وهذا أنس حدثني أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قطع أيدي رجال وأرجلهم وسمل أعينهم .
قال أنس : فوددت أني متّ قبل أن أحدّثه ، جعل عدوّ الله فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلم في أعداء الله حيث نقضوا العهد وغدروا بالمسلمين احتجاجا لنفسه في قتل الصالحين وخيار الأمّة .

[٢٨٧]- وكان أحمد بن طولون يحبّ العلماء ويحضرهم مجلسه ؛ وأراد أبا إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني الفقيه صاحب الشافعيّ أن يحضره ، فامتنع عليه زهدا وتورّعا ، فتهدّده بهدم داره ، فلم يجبه ، وأمر سوّارا حاجبه بهدمها . فقام المزنيّ مع سوّار يريه حدودها حين تقدّم وقال له : لا تهدم هذا الجدار فليس هو لي . فعاد سوّار فأخبره ، فعظم في قلب أحمد بن طولون ، وقلق إلى رؤيته . وكان أحمد بن طولون يحضر جنائز وجوه البلد وصالحيهم وأشرافهم ، ويتولّى الصلاة بنفسه ، فحضر يوما جنازة فقيل له : هذا أبو إبراهيم المزني في الجنازة ، فقال :

أرونيه من غير أن يعلم لئلاّ يتأذّى ، فأروه إياه .

[٢٨٨]- وعقدت قبائل من قريش بينها حلف الفضول لما لم يكن لها ملك أو قائد يمنع ظلم بعضهم من بعض ، فكانوا يدا على من ظلم حتى يرتجعوا منه ظلمه .

فروي أنّ رجلا من خثعم قدم مكة تاجرا ومعه ابنة له يقال لها القتول أوضأ نساء العالمين [وجها] ، فعلقها نبيه بن الحجاج السهميّ ، فلم يبرح حتى نقلها إليه وغلب أباها عليها ، فقيل لأبيها عليك بحلف الفضول .

فأتاهم فشكا ذلك إليهم ، فأتوا نبيه بن الحجاج فقالوا : أخرج ابنة هذا الرجل ، وهو يومئذ متبدّ بناحية مكة وهي معه ، وإلا فنحن من قد عرفت ، فقال : يا قوم متّعوني منها الليلة ، فقالوا : قبّحك الله ما أحمقك ، لا والله ولا شخب لقحة ، وهي أوسع أحاليب الشائل . فأخرجها إليهم فأعطوها أباها ، وركبوا وركب معهم الخثعمي ، فذلك قول نبيه بن الحجاج : [الكامل المجزوء]

لولا الفضول وأنه . . . لا أمن من رقبائها
لدنوت من أبياتها . . . ولطفت حول خبائها
ولجئتها أمشي بلا . . . هاد لدى ظلمائها
فشربت فضلة ريقها . . . ولبتّ في أحشائها

[٢٨٩]- قال أنس : بينا عمر رضي الله عنه قاعد إذ جاء رجل من أهل مصر فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا مقام العائذ فقال عمر : لقد عذت عائذا ، فما شأنك؟ قال : سابقت على فرسي ابنا لعمرو بن العاص ، وهو يومئذ على مصر ، فمحك فجعل يقنّعني بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين ، وبلغ عمرا فخشي أن آتيك فحبسني في السجن ، فانفلتّ منه ، فهذا حين أتيتك .

فكتب عمر إلى عمرو ابن العاص : إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وابنك فلان ، وقال للمصريّ : أقم حتى يأتيك مقدم عمرو ؛ فشهد الحاجّ فلما قضى عمر الحجّ ، وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جنبه ، قام المصريّ فرمى عمر إليه بالدرّة .

قال أنس : فلقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه ، فلم ينزع عنه حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين . قال : يا أمير المؤمنين قد اشتفيت ، قال : ضعها على صلعة عمرو ، قال : يا أمير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني ؛ قال : أم والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع .

ثم قال : يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟! فجعل يعتذر ويقول : إني لم أشعر بهذا .

[٢٩٠]- وقال الأحنف : كنت مع عمر فلقيه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، انطلق معي فأعدني على فلان فإنه قد ظلمني ، فرفع الدرة فخفق بها رأسه وقال :

تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم ، حتى إذا شغل في أمر من أمر المسلمين أتيتموه : أعدني أعدني ، قال : فانصرف الرجل وهو يتذمّر فقال : عليّ بالرجل ، وألقى المخفقة فقال : امتثل ، قال : ولكن أدعها لله ولك . قال : ليس هكذا ، إما أن تدعها لله وإما أن تدعها لي ، فاعلم ذلك . قال : أدعها لله . قال : انصرف .

ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ونحن معه ، فافتتح الصلاة فصلّى ركعتين ثم قال : يا بنيّ الخطاب ، كنت وضيعا فرفعك الله ، وكنت ضالاّ فهداك الله ، وكنت ذليلا فأعزّك الله ، ثم حملك على رقاب المسلمين ، فجاء رجل يستعدي فضربته ، ما تقول لربك إذا أتيته؟ فجعل يعاتب نفسه في صلاته تلك معاتبة ظننا أنه من خير أهل الأرض!

[٢٩٠]- دخل عمر على أبي بكر رضي الله عنهما فسلّم عليه فلم يردّ ، فقال لعبد الرحمن بن عوف : أخاف أن يكون قد وجد عليّ خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

فكلم عبد الرحمن أبا بكر فقال : أتاني وبين يديّ خصمان ، وقد فرّغت لهما قلبي وسمعي وبصري ، وعلمت أنّ الله سائلي عنهما وعمّا قالا وعمّا قلت .

[٢٩١]- كان لعثمان عبد فاستشفع بعليّ أن يكاتبه فكاتبه ، ثم دعا عثمان بالعبد فقال : إني كنت عركت أذنك فاقتصّ مني ، فأخذ بأذنه ثم قال عثمان :

شدّ شدّ ، يا حبذا قصاص الدنيا لا قصاص الآخرة .

[٢٩٢]- قال عبد الملك بن مروان : لقد كنت أتحرّج أن أطأ نملة ، وإنّ الحجاج يكتب إليّ في قتل فئام من الناس فما أحفل بذلك . فقال له الزهري : بلغني أنك شربت الطلاء قال : أي والله والدّماء!

[٢٩٣]- قيل : أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام : إذا عصاني من يعرفني سلّطت عليه من لا يعرفني!

[٢٩٤]- قال ابن عباس : ليس للظالم عهد فإن عاهدته فانقضه ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول ﴿ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

[٢٩٥] - قدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء فقال : إنّ أبياتا بلغتني عن سليمان بن يزيد العدوي في العدل ، فمرّ بنا إليه . فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل : من هذا الذي معك؟ قال عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فقال : رحب على رحب ، وقرب إلى قرب .

فقال : يحبّ أن يسمع أبياتك في العدل فأنشده : [من البسيط]

حتى متى لا نرى عدلا نسرّ به ... ولا نرى لولاة الحقّ أعوانا
مستمسكين بحقّ قائمين به ... إذا تلوّن أهل الجور ألوانا
يا للرّجال لداء لا دواء له ... وقائد ذي عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور : وددت أني رأيت يوم عدل ثم متّ .

قال ابن المبارك : فهلك أبو جعفر والله وما عدل!

[٢٩٦]- خطب المهديّ يوما فقال : عباد الله اتقوا الله ، فقام رجل فقال : وأنت فاتق الله ، فإنك تعمل بغير الحقّ . فأخذ الرجل وأدخل عليه فقال : يا ابن الفاعلة تقول لي وأنا على المنبر اتق الله؟ فقال الرجل : سوءة لك ، لو غيرك قالها كنت المستعدى عليه قال : ما أراك إلاّ نبطيّا قال : ذاك أوكد للحجّة عليك أن يكون نبطيّ يأمرك بتقوى الله .

[٢٩٧]- وقال بزرجمهر : لا شرف إلاّ شرف العقل ، ولا غنى إلاّ غنى النفس .

[٢٩٨]- ودخل عبد العزيز بن زرارة الكلابيّ على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، جالس الألباء ، أعداء كانوا أو أصدقاء ، فإنّ العقل يقع على العقل .

[٢٩٩]- قال أعرابي : ما تمّ عقل أحد إلاّ قلّ كلامه .

[٣٠٠] - قال أردشير : نموّ العقل بالعلم .

[٣٠١] - روي عن المتوكل أنه قال يوما لأصحابه : تكابروني في أمر عليّ بن أبي طالب ، ورأيته البارحة في منامي وهو في النار ، قالوا : فنحضر فلانا معبّر الرؤيا ونقصّها عليه ، فلعلّ لذلك تأويلا . فأحضره وعرفه ما رآه ولم يذكر عليا ، فقال له : لا يجوز أن

يكون الرجل إلاّ نبيّا أو في منزلة الأنبياء ، فقال له : وكيف ذلك ، وبما استدللت عليه قال : بقول الله تعالى ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَها ﴾ .

[٣٠٢]- وقال الحسن البصري : لو كان الناس كلّهم عقول خربت الدنيا .

[٣٠٣]- الأدب صورة العقل فحسّن صورة عقلك كيف شئت .

[٣٠٤] - قال النظام : ثلاثة تخلق العقل : طول النظر في المرآة ، والاستغراب في الضحك ، ودوام النظر في البحر .

[٣٠٥]- المتنبي : [من الكامل]

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله . . . وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

[٣٠٦]- وقال جمين لرجل : أبو من؟ قال : أبو عبد الكريم الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه . فقال : مرحبا بك يا نصف القرآن ، ارتفع .

[٣٠٧]- قال معلّم لغلام : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها ﴾ (الشمس : 10) فقال الصبي : وقد داس من خبّاها ، فلم يزل يكرّر ذلك عليه إلى أن أعيته الحيلة ، فقال المعلم : وقد داس من خبّاها ، فقال الغلام : وقد خاب من دسّاها !

[٣٠٨] - قال حمزة بن نصير لغلام له كان أحمق منه : أيّ يوم صلينا الجمعة بالرصافة؟ قال : والله ما أذكر جيدا ، ولكن أحسبه كان يوم الثلاثاء ، قال : صدقت كذا كان .

[٣٠٩]- مات لأبي العطوف ابن ، وكان يتفلسف ، فلما دلّوه في القبر قال للحفّار : أضجعه على شقّه الأيسر فإنه أهضم للطعام !!

[٣١٠]- قال أفلاطن : إذا استشارك عدوّك فجرّد له النصيحة لأنه بالاستشارة قد خرج من عداوتك إلى موالاتك .

[٣١١]- وكان ابن هبيرة يقول : إياك وصحبة من غايته خاصّة نفسه ،والانحطاط في هوى مستشيره ، وهو من لا يلتمس خالص مودّتك إلاّ بالتأتي لموافقة شهوتك ، ومـــــــــــن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكّر في حوادث غدك .

[٣١٢]- كان معاوية يقول : لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أنّ في قلبه عليّ ضغنا ، فأستشيره ، فيثور إليّ منه بقدر ما يجد في نفسه ، فما يزال يوسعني شتما وأوسعه حلما حتى يرجع صديقا أستنجده فينجدني .

[٣١٣] - أراد عمر بن عبد العزيز أن يذكر بني أمية وجورهم وإفسادهم ويلعن الظالمين منهم ، فشاور في ذلك جماعة من أهل العلم ، منهم ميمون بن مهران ، فقال له ميمون : يا أمير المؤمنين إنّ القول فتنة فعليك بالعمل .

[٣١٤] - أراد نوح بن أبي مريم قاضي مرو الروذ أن يزوّج ابنته ، فاستشار جارا له مجوسيا ، فقال : سبحان الله ، الناس يستفتونك وأنت تستفتيني؟

قال : لا بدّ أن تشير عليّ ، قال : إنّ رئيسنا كسرى كان يختار المال ، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ، ورئيس العرب كان يختار النسب ، ورئيسكم محمد كان يختار الدين ، فانظر أنت لنفسك بمن تقتدي .

[٣١٥] - كتب سفيان الثوري إلى عبّاد بن عباد : أما بعد فانّك في زمان كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم يتعوّذون أن يدركوه في ما بلغنا ، ولهم من العزم ما ليس لنا ولا لك ، ولهم من العمل ما ليس لنا ولا لك . فكيف بنا وقد أدركناه على قلّة علم وبصر ، وقلّة أعوان على الخير ، وكدر من الدنيا ، وفساد من الناس؟ فعليك بالعزلة وقلة مخالطتهم فان عمر يقول : إياكم والطمع فانه فقر حاضر ، وإن اليأس غنى ، وفي العزلة راحة من خليط السّوء .

[٣١٦]- أوصى أبو الأسود ابنه فقال : يا بنيّ ، إذا جلست إلى قوم فلا تتكلم بما هو فوقك فيمقتوك ، ولا بما هو دونك فيزدروك . وإذا وسّع الله عليك فابسط يديك ، وإذا أمسك عليك فأمسك . ولا تجاود الله تعالى فان الله أجود منك .

[٣١٧]- احتضر بعض المجّان فقالت له زوجته : أوص ، قال : وتقبلين مني؟ قالت : نعم . قال : إذا أنا متّ فادفني معي زنبيل الدقيق ودبّة البزر حتى تلحقهما ضغطة القبر فانّهما أكلا كبدي في الدنيا .

[٣١٨]- وقال علي بن الحسين : لا يفخر أحد على أحد فانكم عبيد والمولى واحد .

[٣١٩] - تكلم الوفود عند عبد الملك حتى بلغ الكلام إلى خطيب الأزد ، فقام فقبض على قائم سيفه ثم قال : قد علمت العرب أنّا حيّ فعال ولسنا حيّ مقال ، وأنّا نأبى الحيف ، ونعمل السيف ، فمن مال قوّم السيف أوده ، ومن نطق قمع الحقّ لدده ؛ ثم جلس ، فحفظت خطبته دون كلّ خطبة .

[٣٢٠]- لما قال إسماعيل بن يسار قصيدته التي يفخر فيها بالفرس على العرب ، ومنها : [من الخفيف]

إذ نربّي بناتنا وتدسّو . . . ن سفاها بناتكم في التراب

قال له العربي : لأن حاجتنا إلى البنات غير حاجتكم ، يعني أنهم ينكحون بناتهم .

[٣٢١]- وقيل لآخر : أما يوجعك البرد؟ قال : بلى ، ولكنيّ أذكر حسبي فأدفأ !!

[٣٢٢]- قال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل ، وهو يومئذ أمير : ألا تخبرني عن هؤلاء الذين مزّقوا أعراضهم ، وهتكوا أستارهم ، وأغاروا بين عشائرهم في غير خير ولا برّ ولا نفع ، أيّهم أشعر؟

قال شبّة : أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ، وأما الأخطل فيجيد المدح وصفة الخمر .

فقال هشام : ما فسرت لنا شيئا نحصله ، فقال : ما عندي غير ما قلت . فقال لخالد بن صفوان : صفهم لنا يا ابن الأهتم .

قال : أما أعظمهم فخرا ، وأبعدهم ذكرا ، وأحسنهم عذرا ، وأشردهم مثلا ، وأقلّهم غزلا ، وأحلاهم عللا ، الطامي إذا زخر ، والحامي إذا زأر ، والسامي إذا خطر ، الذي إذا هدر قال ، وإذا خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق .

وأما أحسنهم نعتا ، وأمدحهم بيتا ، وأقلّهم فوتا ، الذي إذا هجا وضع ، وإذا مدح رفع ، فالأخطل .

وأما أغزرهم بحرا ، وأرقّهم شعرا ، وأهتكهم لعدوّه سترا ، الأغرّ الأبلق ، الذي إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق ، فجرير .

وكلّهم ذكيّ الفؤاد ، رفيع العماد ، واري الزناد . فقال مسلمة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأوّلين والآخرين .

[٣٢٣]- قال أبو العيناء لمحمد بن خالد الشيباني : لئن كان آدم عليه السلام أساء إلى نفسه في إخراجنا من الجنة ، لقد أحسن إلينا أنّه ولدك .

[٣٢٤]- كان مصعب بن الزبير من أجمل الرجال ، فبينا هو جالس بفنائه بالبصرة إذ وقفت عليه امرأة من طيء تنظر إليه فقال : ما وقوفك عافاك الله؟
فقالت : طفىء مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا !

[٣٢٥]- مدح رجل هشام بن عبد الملك فقال : يا هذا إنه قد نهي عن مدح الرجل في وجهه ، فقال له : ما مدحتك ، وإنما ذكرت نعم الله عليك لتجدّد لها شكرا .
أشار هشام بن عبد الملك إلى الخبر عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم : إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب ؛ قال العتبي : هو المدح الباطل والكذب ، وأما مدح الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، وقد مدح أبو طالب والعباس وكعب وحسّان وغيرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ولم يبلغنا أنه حثا في وجوههم ترابا . ومدح هو صلّى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار ، ومدح نفسه وقال : أنا سيّد ولد آدم . وقال يوسف عليه السلام ﴿ إِنِي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ . (يوسف : 55) .
وفي حثو التراب معنيان : أحدهما التغليظ في الردّ عليه ، والثاني : أن يقال له بفيك التراب .

[٣٢٦]- وقال وهب بن منبه : من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمّك بما ليس فيك .

[٣٢٧]- سمع أعرابيّ قوله تعالى ﴿ الأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنفاقاً ﴾ . فامتعض ثم سمع ﴿ وَمِنَ الأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ ﴾ (التوبة : 99) فقال : الله أكبر ، هجانا الله ثم عاد مدحنا ، وكذلك فعل الشاعر حيث يقول : [من الطويل]

هجوت زهيرا ثم إني مدحته . . . وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

[٣٢٨]- شتم رجل الأرضة فقال له بكر بن عبد الله المزني : مه فهي التي أكلت الصحيفة التي تعاقد المشركون فيها على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، إلا ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وبها تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب . . . الآية .

[٣٢٩] - ويشبهه أنّ خالد بن صفوان قال لجاريته : هاتي جبنا فإنه يهيج المعدة ويشهّي الطعام ، وهو حمض العرب . قالت : قد كان ونفد . قال : لا عليك ، فإنه يقدح في الأسنان ، ويستولي على البطن ، وهو من عمل أهل الذمة!

[٣٣٠]- وقال موسى بن جعفر : المعروف غلّ لا يفكّه إلا المكافأة أو الشكر .

[٣٣١]- وقال رجل لسعيد بن جبير : هذا المجوسيّ يوليني خيرا فأشكره ويسلم عليّ فأردّ عليه ، فقال سعيد : سألت ابن عباس عن نحو هذا فقال : لو قال لي فرعون خيرا لرددته عليه .

[٣٣٢]- قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجل من أهل الشام :
كيف عمّالنا قبلكم؟ قال : يا أمير المؤمنين إذا طابت العين عذبت الأنهار .

[٣٣٣]- ذكر عند الحسين بن علي عليهما السلام اعتذار عبد الله بن عمرو ابن العاص من مشهده بصفين فقال : ربّ ذنبٍ أحسن من الاعتذار منه ؛ فنظر إلى هذا المعنى محمود الوراق فقال : [من الطويل]

إذا كان وجه العذر ليس بواضح . . . فإنّ اطّراح العذر خير من العذر

[٣٣٤]- عتب المأمون على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في شيء فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده ، ففتحها المأمون فإذا فيها : [من البسيط]

لا شيء أعظم من جرمي سوى أملي . . . بحسن عفوك عن جرمي وعن زللي

فإن يكن ذا وذا في القدر قد عظما . . . فأنت أعظم من جرمي ومن أملي

فضحك وقال : يا إسحاق ، عذرك أعلى قدرا من جرمك ، وما جال بفكري ، ولا خطر بعد انقضائه على بالي .

[٣٣٥]- وكان كعب بن جعيل شاعر معاوية [يمدحه] ويذم غيره ، فقال معتذرا : [من الطويل]

ندمت على شتم العشيرة بعد ما . . . مضى واستتبّت للرواة مذاهبه

فأصبحت لا أسطيع ردّ الذي مضى . . . كما لا يردّ الدرّ للضرع حالبه

[٣٣٦]- وأنكر على صديق له شيئا فكتب إليه : إمّا أن تقرّ بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك ، وإلاّ فطب نفسا بالانتصاف منك فإنّ الشاعر يقول : [من البسيط]

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا . . . عنه فإنّ جحود الذنب ذنبان

[٣٣٧]- ولما فتح المعتصم عمورية أكثر الشعراء ذكر هذا الفتح ، وهو من أعظم فتوح الإسلام ، فمن ذلك قول أبي تمام الطائي ، وهي من عيون شعره ، اقتصرت منها على ما يتعلق بالفتح وأولها : [من البسيط]

السيف أصدق إنباء من الكتب . . . في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

بيض الصّفائح لا سود الصحائف في . . . متونهنّ جلاء الشكّ والرّيب

والعلم في شهب الأرماح لامعة . . . بين الخميسين لا في السبعة الشهب

[٣٣٨]- ولد لجابر الفزاري بعد ما كبر غلام له إبهامان في يد فقال : [من الرجز]

الحمد لله العليّ الماجد . . . أعطى على رغم العدوّ الحاسد

بعد مشيب الرأس ذا الزوائد . . . ليثا يرى السبعة مثل الواحد

[٣٣٩]- وصف للمتوكل كلب بأرمينية يفترس الأسد فأرسل من جاء به ، فقال له الطريحيّ : يا أمير المؤمنين هناك الله ما خصّك به من نيل مباغيك ، وإدراك محابّك ، فما شيء يصغر مع طلب أمير المؤمنين عن أن يهنّأ به ، ويرغب إلى الله في زيادته . فقال له المتوكل : هو لك جزاء عن هذه التهنئة ، فبعه منّي بحكمك .
فباعه منه بألفي دينار ، فألقاه على أسد فتواثبا وتناهشا حتى وقعا ميتين .

[٣٤٠]- شكا رجل إلى أبي العيناء امرأته فقال : أتحبّ أن تموت؟ قال : لا والذي لا إله إلا هو ، قال : ولم يا ويحك ، وأنت معذّب بها؟ فقال : أخشى والله أن أموت من الفرح .

[٣٤١]- وقال علقمة في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (التغابن :١١) هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلّم لها ويرضى .

[٣٤٢]- وقال علي بن الحسين حين مات ابنه ولم يجزع : أمر كنّا نتوقّعه فلما وقع لم ننكره .

[٣٤٣]- وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرا : [من الوافر]
ألا يا صخر إن أبكيت عيني . . . لقد أضحكتني دهرا طويلا
دفعت بك الجليل وأنت حيّ . . . فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيل . . . رأيت بكاءك الحسن الجميلا

[٣٤٤]- وقال الربيع بن زياد العبسي : [من الكامل]
من كان مسرورا بمقتل مالك . . . فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه . . . يلطمن أوجههنّ بالأسحار
قد كنّ يخبأن الوجوه تستّرا . . . فاليوم حين برزن للنظار

يضربن حرّ وجوههنّ على فتى ... عفّ الشمائل طيّب الأخبار

قيل كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم والندم على ما فعله بهم ، ففطن لذلك زبير بن دحمان المغني ، فكان يغنيه في هذا المعنى فيحركه ، فغناه يوما بهذه الأبيات فقال له : أعد ، فأعاد فقال : ويحك كأنّ قائل هذا الشعر يصف به يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى ، وبكى حتى جرت دموعه ، ووصل زبيرا صلة سنية .

[٣٤٥]- وقفت عائشة على قبر أبيها أبي بكر رضي الله عنه فقالت : يا أبة ، نضر الله وجهك ، وشكر لك سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلاّ بإدبارك عنها ، وللآخرة معزّا بإقبالك عليها . ولئن كان أجلّ الحوادث- بعد موت رسول الله صلّى الله عليه وسلم وآله- رزؤك ، وأعظم المصائب فقدك ، إنّ كتاب الله عزّ وجلّ ليعد فيك بحسن العزاء عنك ، وحسن العوض منك ، بالاستغفار لك ، فعليك السلام ورحمة الله [توديع] غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك ؛ ثم انصرفت .

[٣٤٦]- قيل بينا جرير جالس بفناء داره بحجر إذا راكب قد أقبل ، فقال له جرير : من أين أوضع الراكب؟ قال : من البصرة . فسأله عن الخبر فأخبره بموت الفرزدق فقال : [من الكامل]

مات الفرزدق بعد ما جدّعته ... ليت الفرزدق كان عاش قليلا

ثم سكت ساعة فظنّ أنه يقول شعرا ، فدمعت عيناه ، فقيل له : سبحان الله ، أتبكي على الفرزدق؟ فقال : والله ما أبكي إلاّ على نفسي ، أما والله إنّ بقائي خلافه لقليل ، لأنّه قلّما تصاول فحلان في شول فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به . وقال : [من الطويل]

فجعنا بحمّال الديات ابن غالب ... وحامي تميم كلّها والبراجم

بكيناك حدثان الفراق وإنما ... بكيناك إذ نابت أمور العظائم

فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ... ولا مدّ أنساع المطيّ الرواسم

[٣٤٧]- تمثّل عليّ كرّم الله وجهه عند قبر فاطمة عليها السلام : [من الطويل]

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة . . . وكلّ الذي دون الممات قليل

وإنّ افتقادي واحدا بعد واحد . . . دليل على أن لا يدوم خليل

تروى لشقران السلاماني وأوّلها :

ذكرت أبا أروى فبتّ كأنني . . . بردّ الهموم الماضيات كفيل

[٣٤٨] - كان المأمون يحب أخاه أبا عيسى بن الرشيد حبا شديدا ويعدّه للأمر بعده ، فمات في سنة تسع ومائتين ، فقال المأمون : حال القدر دون الوطر . وصلّى عليه ونزل في قبره وبكى ساعة ثم مسح عينيه وتمثّل : [من الطويل]

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض . . . فحسبك مني ما تجنّ الجوانح

كأن لم يمت حيّ سواك ولم يقم . . . على أحد إلا عليك النوائح

[٣٤٩]- وقال سليمان عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة :

إني لأجد في كبدي جمرة لا يطفئها إلا عبرة ، فقال عمر : اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر . فنظر إلى رجاء بن حيوة كالمستريح إلى مشورته فقال رجاء : أفضها يا أمير المؤمنين فما بذاك من بأس ، فقد دمعت عينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم وقال : العين تدمع ، والقلب يوجع ، ولا نقول ما يسخط الربّ ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون .

فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أربا ثم أقبل عليهما وقال : لو لم أنزف هذه العبرة لا نصدعت كبدي ، ثمّ لم يبك بعدها .

[٣٥٠]- عزّى عبد الرحمن بن أبي بكرة سليمان بن عبد الملك فقال : إنّه من طال عمره فقد الأحبّة ، ومن قصر عمره كانت مصيبته في نفسه .

[٣٥١] - لما مات العباس بن المأمون جزع عليه المعتصم جزعا شديدا وامتنع من الطعام ، وأمر أن لا يحجب عنه أحد للتعزية .

فدخل أعرابيّ في غمار الناس فأنشده : [من الكامل]

اصبر نكن لك تابعين وإنما ... صبر الجميع بحسن صبر الراس
خير من العباس أجرك بعده ... والله خير منك للعباس

فتسلى ودعا بالطعام .

كذا وجدت الخبر وأظنّه سهوا ، فإنّ العباس مات في حبس المعتصم ، فكيف يجزع عليه هذا الجزع وهو كان المتّهم بقتله ، وخبره حيث أراد الفتك بالمعتصم ومواطأة عجيف عليه مشهور ، وأظنّه العبّاس بن الفضل بن الربيع ، والمعزّى به أبوه .

[٣٥٢]- تمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبي بكر بقول متمم بن نويرة : [من الطويل]

وكنّا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتبّعا
فلمّا تفرّقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

[٣٥٣]- كان لزهير بن أبي سلمى ابن يقال له سالم ، جميل الوجه ، حسن الثغر ، وبعث إليه رجل ببردتين فلبسهما الفتى وركب فرسا ، فمرّ بامرأة من العرب فقالت : ما رأيت كاليوم قطّ رجلا ولا بردتين ولا فرسا ، فعثرت به الفرس فاندقّ عنق الفرس وعنق سالم وانشقّت البردتان ، فقال زهير يرثي ابنه سالما : [من الطويل]

رأت رجلا لاقى من العيش غبطة ... سلامة أعوام له وغنائم
فأصبح محبورا ينظر حوله ... بمغبطة لو أنّ ذلك دائم
وعندي من الأيام ما ليس عنده ... فقلت تعلّم إنما أنت حالم
لعلك يوما أن تراعي بفاجع ... كما راعني يوم النّساءة سالم

[٣٥٤]- رأى الحجاج في منامه أنّ عينيه قلعتا فطلّق الهندين : هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة ، فلم يلبث أن جاءه نعي أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه فقال : هذا والله تأويل رؤياي ثم قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، محمد ومحمد في يوم واحد . وقال : [من الطويل]

حسبي بقاء الله من كلّ ميّت . . . وحسبي رجاء الله من كلّ هالك

إذا كان ربّ العرش عنّي راضيا . . . فإنّ شفاء النفس فيما هنالك

وقال من يقول شعرا يسلّيني به؟ فقال الفرزدق : [من الكامل]

إنّ الرزية لا رزية مثلها . . . فقدان مثل محمّد ومحمد

ملكين قد خلت المنابر منهما . . . أخذ الحمام عليهما بالمرصد

فقال : لو زدتني ، فقال الفرزدق : [من البسيط]

إني لباك على ابني يوسف جزعا . . . ومثل فقدهما للدين يبكيني

ما سدّ حيّ ولا ميت مسدّهما . . . إلا الخلائف من بعد النبيين

فقال ما صنعت شيئا إنما زدت في حزني ، فقال : [من الطويل]

لئن جزع الحجّاج ما من مصيبة . . . تكون لمحزون أجلّ وأوجعا

من المصطفى والمصطفى من خيارهم . . . جناحاه لما فارقاه فودّعا

أخ كان أغنى أيمن الأرض كلّها . . . واغنى ابنه أهل العراقين أجمعا

جناحا عقاب فارقاه كلاهما . . . ولو نزعا من غيره لتضعضعا

قال : الآن .

[٣٥٥]- قيل لرجل : مات فلان ، فقال : من لم تنفع حياته لم يجزع لوفاته [من الوافر]

فبعدا لا انقضاء له وسحقا . . . فغير مصابه الخطب العظيم

[٣٥٦]- وروي أنّ جابر بن عبد الله استأذن على معاوية فلم يؤذن له أياما ثم دخل فمثل بين يديه فقال : يا معاوية أشهد أني سمعت المبارك صلّى الله عليه وسلم يقول : ما من أمير احتجب عن الفقراء إلاّ احتجب الله عنه يوم يفتقر إليه .

فغضب معاوية وقال : يا جابر ، ألست ذكرت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أنه قال : يا معشر الأنصار ، سيصيبكم بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض؟

قال : قد سمعت الطيب المبارك صلّى الله عليه وسلم يقوله .

قال معاوية : فألاّ صبرت؟

قال : إذن والله أصبر كما صبرت حين ضربت أنفك وأنف أبيك حتى دخلتما في الإسلام كارهين ؛ ثم انصرف وهو يقول : [من الطويل]

إني لأختار البلاء على الغنى . . . وأجزا بالماء القراح عن المحض
وأدّرع الإملاق صبرا وقد أرى . . . مكان الغنى أن لو أهين له عرضي

[٣٥٧]- وقال الجنيد : بصرت أبا عبد الله الأشناني وكان ضريرا فقرأ قارىء ﴿ يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْينِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (غافر : 19) .

فقال سقط عني نصف العمل وبقي عليّ نصفه وهو ما تخفي الصدور .

[٣٥٨] – ومن ذلك خبر الأنصارية لما كان يوم أحد ، حاص أهل المدينة حيصة وقالوا : قتل محمد ﷺ حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة ، فخرجت امرأة من الانصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى ، فلما مرّت بهم قالت : ما فعل النبيّ ﷺ ؟ قالوا : أمامك ، حتى ذهبت إليه فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول : بأبي وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب .

[٣٥٩]- قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : من هوان الدنيا على الله أنّ يحيى بن زكريا عليهما السلام أهدي رأسه إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل في طست من ذهب ، وفيه تسلية لحرّ فاضل يرى الناقص الذي يظفر من الدنيا بالحظّ السنيّ .

[٣٦٠]- لما دفن عمر بن عبد العزيز ابنه عبد الملك رأى رجلا يتكلّم ويشير بشماله ، فصاح به : إذا تكلمت فأشر بيمينك . فقال الرجل : ما رأيت كاليوم رجلا دفن أعزّ الناس عليه ثم هو يهمّه يميني من شمالي . فقال عمر : إذا استأثر الله بشيء فاله عنه .

[٣٦١]- وقال الشعبي : عيادة النوكى أشدّ على المريض من وجعه .

[٣٦٢]- قال لقمان : ثلاث فرق يجب على الناس مداراتهم ، الملك المسلط ، والمريض ، والمرأة .

[٣٦٣]- كان بالمدينة عجوز شديدة العين لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عانته ، فدخلت على أشعب وهو مريض في الموت ، وهو يقول لبنته : يا بنيّة إذا متّ فلا تندبيني والناس يسمعونك ، وتقولين واأبتاه أندبك للصوم والصلاة ، للفقه والقرآن ، فيكذّبك الناس ويلعنوني . والتفت أشعب فرأى المرأة فغطّى وجهه بكمّه وقال لها : يا فلانة ، بالله إن كنت استحسنت شيئا مما أنا فيه فصلّي على النبي عليه السلام ولا تهلكيني ، فغضبت المرأة وقالت : سخنت عينك ، وفي أيّ شيء أنت مما يستحسن؟ أنت في آخر رمق ، قال : قد علمت ، ولكن قلت لا تكونين قد استحسنت خفّة الموت عليّ وسهولة النزع ، فيشتدّ ما أنا فيه .

فخرجت من عنده وهي تشتمه ، وضحك من كان حوله من كلامه ، ثم مات .

[٣٦٤]- مرض الأعمش فعاده رجل وأطال الجلوس ، فقال : يا أبا محمد ما أشدّ شيء مرّ عليك في علتك هذه؟ قال : دخولك اليّ ، وقعودك عندي .

[٣٦٥]- ودخل عليه أبو حنيفة يعوده فقال له : يا أبا محمد لولا أنه يثقل عليك لعدتك في كلّ يوم ، فقال له : أنت تثقل عليّ وأنت في بيتك فكيف في بيتي؟

[٣٦٦]- رأى رجل قوما يعودون عليلا فعزاهم فقالوا : لم يمت بعد ، فقام وهو يقول : يموت إن شاء الله .

[٣٦٧]- كان لرجل غلام من أكسل الناس ، فأمره بشراء عنب وتين ، فأبطأ ثم جاء بأحدهما ، فضربه وقال : ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين .
ثم مرض فأمره أن يأتي بطبيب ، فجاء به وبرجل آخر ، فسأله : من هذا فقال : أما ضربتني وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة؟ جئتك بطبيب فإن رجاك وإلا حفر هذا قبرك ، فهذا طبيب وهذا حفّار .

[٣٦٨]- ونظر فيثاغورس الحكيم إلى رجلين لا يكادان يفترقان فقال : أيّ قرابة بين هذين؟ فقيل له : ليس بينهما قرابة ولكنهما متصادقان ، قال : فلم صار أحدهما فقيرا والآخر غنيّا؟ يريد لو كانا صديقين لتواسيا .

[٣٦٩]- وإلى هذا المعنى نظر إبراهيم بن العباس في قوله : [من الطويل]

ولكنّ عبد الله لما حوى الغنى . . . وصار له من بين إخوانه مال
رأى خلّة من حيث يخفى مكانها . . . فساهمهم حتى استوت بهم الحال

[٣٧٠] - وقال عمرو بن مسعدة أو ثابت أبو عباد : لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفوائد علمه . ومن كانت غايته الاحتيال على مالك وإطراءك في وجهك فإنّ هذا لا يكون إلاّ رديء الغيب سريعا إلى الذمّ .

[٣٧١]- قال رجل لخالد بن صفوان : علّمني كيف أسلّم على الإخوان ، فقال : لا تبلغ بهم النفاق ، ولا تتجاوز قدر الاستحقاق .

[٣٧٢]- قيل لعبد الحميد : أخوك أحبّ إليك أم صديقك؟ فقال : إنّما أحبّ أخي إذا كان صديقا .

[٣٧٣] - وقال آخر : إنّ من الناس ناسا ينقصونك إذا زدتهم ، وتهون عليهم إذا خاصمتهم ، ليس لرضاهم موضع تعرفه ، ولا لسخطهم موضع تحذره ، فإذا عرفت أولئك بأعيانهم فابذل لهم موضع المودة ، واحرمهم موضع الخاصة ، ليكون ما بذلت لهم من المودة حائلا دون شرّهم ، وما حرمتهم من الخاصّة قاطعا لحرمتهم .

[٣٧٤]- قال المنصور : ما تلذّذت بشيء تلذّذي بمصادقة عمرو بن عبيد ، ثم وليت هذا الأمر فهجرني ، فوالله لساعة منه أحبّ إليّ مما أنا فيه . كنت إذا أعسرت ملأ قلبي بأنس القناعة ، وإذا اغتممت آنسني بنيل الثواب .

[٣٧٥]- من كلام الحسن : يا ابن آدم إياك والغيبة فإنها أسرع في الحسنات من النار في الحطب . يحسد أحدكم أخاه حتى يقع في سريرته ، والله أعلم بعلانيته .
يتعلّم في الصداقة التي بينهما ما يعيّره به في العداوة إذا هي كانت ، فما أظنّ أولئك من المؤمنين . إنّ الله لا ينظر إلى عبد يبدي لأخيه الودّ وهو مملوء غشّا ، يطريه شاهدا ، ويخذله غائبا ، إن رأى خيرا حسده ، وإن ابتلي ابتلاء خذله .

[٣٧٦] - قال أعرابيّ لابنه : يا بنيّ ابذل المودّة الصافية تستفد إخوانا ، وتتخذ أعوانا ، فإنّ العداوة موجودة عتيدة ، والصداقة مستعزّة بعيدة . جنّب كرامتك اللئام فإنهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا ، وإن نزلت شديدة لم يصبروا .

[٣٧٧]- وقال عمرو بن العاص : إذا كثر الإخاء كثر الغرماء . أراد بالغرماء الحقوق .

[٣٧٨]- كتب رجل إلى أخ له : أما بعد فإن كان إخوان الثقة كثيرا فأنت أولهم ، وإن كانوا قليلا فأنت أوثقهم ، وإن كانوا واحدا فأنت هو .

[٣٧٩]- كتب أحمد بن يوسف إلى صديق له يستدعيه : يوم الالتقاء قصير ، فأعن عليه بالبكور .

[٣٨٠]- زار الخليل بن أحمد بعض تلامذته فقال له : إن زرتنا فبفضلك ، وإن زرناك فلفضلك ، فلك الفضل زائرا ومزورا .

[٣٨١]- خاصم مزيد يوما امرأته وأراد أن يطلقها فقالت له : اذكر طول الصحبة ، فقال : والله مالكِ عندي ذنب غيره!

[٣٨٢]- أهدى أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع وقد قدم من مكة نعلا وقد كتب على شراكها : [من الكامل المرفل]

نعل بعثت بها لتلبسها ... قدم بها تمشي إلى المجد
لو كان يصلح أن أشرّكها ... خدي جعلت شراكها خدي

فحملها الفضل إلى الأمين فقال : ما هذه يا عباسيّ قال : أهداها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين شعرا ، فكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لما وصف به لابسها ، فقال : ما هما؟ فقرأهما عليه ، فقال : أجاد والله ما سبقه إلى هذا المعنى أحد ، هبوا له عشرة آلاف درهم ، فأخرجت إليه في بدرة .

[٣٨٣]- أبو العتاهية : [من البسيط]

أثني عليك ولي حال تكذّبني ... فيما أقول فأستحيي من الناس
حتى إذا قيل ما أعطاك من صفد ... طأطأت من سوء حالي عندها راسي

[٣٨٤]- دخل خالد بن يزيد دار عبد الملك ، وكان يسحب ثيابه ، فقام إليه عبد الرحمن بن الضحاك يتلقاه فقال له : بأبي أنت وأمي لم تطعم الأرض فضول ثيابك؟ فقال : إني أكره أن أكون كما قال الشاعر : [من الطويل]

قصير الثياب فاحش عند بيته ... وشرّ قريش في قريش مركّبا

وهذا البيت هجي به الضحاك .

[٣٨٥]- وقال الشيباني : أتانا يوما أبو مياس الشاعر ، ونحن في جماعة فقال : ما أنتم فيه؟ وما تتذاكرون؟ قلنا : نذكر الزمان وفساده ، قال : كلاّ ، إنما الزمان وعاء ما ألقي فيه من خير أو شرّ كان على حاله . ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

يقولون الزمان به فساد ... وهم فسدوا وما فسد الزمان

[٣٨٦]- والمقصود من ذكر الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ، ومعان بديعة ، لا التشفي بالأعراض والرتعة فيها . وليس الهجاء دليلا على إساءة المهجوّ ولا صدق الشاعر فيما رماه به ، فما كلّ مذموم بذميم ، ولا كلّ ملوم بمليم ، وقد يهجى الإنسان بهتا وظلما ، أو تقرّبا إلى عدوّ ، أو عبثا ، أو إرهابا لمن يخشى الشاعر سطوته فيجبن عن هجائه .

[٣٨٧] - وقد أحسن الزبرقان بن بدر إلى الحطيئة وأكرم ضيافته في سنة غبراء حطمت الأموال وذهبت بالخفّ والحافر ، فوعده بنو أنف الناقة القريعيّون ، وكانوا أعداء الزبرقان ، أن يزيدوا في البرّ على ما فعله الزبرقان ، فحمله الطمع والجشع على أن أرضاهم بهجائه فقال : [من البسيط]

زما كان ذنب بغيض لا أبا لكم ... في بائس جاء يحدو آخر الناس

جار لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيما بين أرماس

ملّوا قراه وهرّته كلابهم ... وجرّحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وهي أكثر من هذا .

فاستعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنشده الأبيات فقال : ما أسمع هجاء وإنما هي معاتبة ، فقال الزبرقان : أو ما بلغ من مروءتي إلا أن آكل وأشرب؟ فدعا حسان فسأله عن الشعر فقال : ما هجاه ولكن سلح عليه!!

ويقال سأل لبيدا فقال : ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأنّ لي حمر النّعم . فأمر به عمر فجعل في نقير في بئر ، ثم ألقي عليه شيء فقال :

ماذا تقول لأفراخ بذي أمر . . . زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة . . . فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فأخرجه ثم قال : إياك وهجاء الناس . قال : إذن يموت عيالي جوعا ؛مكسبي هذا ومنه معاشي !!

[٣٨٨]- ومن العبث بالهجو ما روي أنّ الحطيئة همّ بهجاء فلم يدر من يستحقّه فجعل يجول ويقول : [من الطويل]

أبت شفتاي اليوم إلاّ تكلّما . . . بسوء فما أدري لمن أنا قائله

ثم اطلع في ركيّ فرأى وجهه فقال :

أرى لي وجها شوّة الله خلقه . . . فقبّح من وجه وقبّح حامله

وهجا أباه وأمه فقال : [من الكامل]

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني . . . وأبا بنيك فساءني في المجلس

[٣٨٩] - وكانت العرب في جاهليتها وإسلامها تتّقي الهجاء أشدّ من اتقائها السلاح ، حيث كانت تحامي عن أحسابها ، وترغب في اقتناء المحامد الباقي ذكرها على أعقابها . ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغير هما من الصحابة يهجون مشركيّ قريش : لهو أشدّ عليهم من وقع النبل .

[٣٩٠]- وذم الجاحظ رجلا فقال : أنت والله أحوج إلى هوان من كريم إلى إكرام ، ومن علم إلى عمل ، ومن قدرة إلى عفو ، ومن نعمة إلى شكر .

[٣٩١]- قال رجل لأخيه من أبويه : والله لأهجونّك هجاء يدخل معك قبرك . قال : كيف تهجوني وأبي أبوك وأمي أمك؟ فقال : [من الطويل]

غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه ... ولم يأته من شطر أمّ ولا أب

فقال : قتلتني قتلك الله .

[٣٩٢]- ذكر أعرابيّ رجلا بقلّة الحياء فقال : لو رضّ بوجهه الحجارة لرضّها ، ولو خلا بالكعبة لسرقها !!

[٣٩٣]- يقال إنّ النعامة إذا انكسرت إحدى رجليها بقيت جاثمة لا تمشي خلاف كلّ ذي رجلين ، وكان لبعض الأعراب أخ اسمه دحية ، وكانت امرأته تطرده فقال : [من الطويل]

أدحية عنّي تطردين تبدّدت ... بلحمك طير طرن كلّ مطير

فإني وإياه كرجلي نعامة ... على كلّ حال من غنى وفقير

[٣٩٤]- قال الأصمعي : وصف أعرابيّ ناقة فقال : تقطع الأرض عرضا ، وترضّ الحجارة رضّا ، وتنهض في الزمام نهضا ، سريعة الوثوب ، بطيئة النكوب ، مدلاج سروب .

[٣٩٥]- وقال الأصمعي : ما وصف أحد الثغر بأحسن من بيت بشر بن أبي خازم [من الوافر]

يفلّجن الشّفاه عن اقحوان ... جلاه غبّ سارية قطار

ولا وصف اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة : [من الخفيف]

وهي مكنونة تحدّر عنها ... في أديم الخدين ماء الشباب

ولا وصف أحد امرأة إلا احتاج إلى قول عديّ بن الرقاع : [من الكامل]

وكأنها بين النساء أعارها

وقد كتبنا البيتين . وذكر الأصمعي بعد ذلك ما لا يليق بهذا الباب .

[٣٩٦]- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن معديكرب :

أخبرني عن السلاح قال : عن أيه تسأل؟ قال : أخبرني عن الرمح قال : أخوك وربما خانك ، قال فالسهام ، قال : منايا تخطىء وتصيب قال : فالدرع : قال مشغلة للفارس ، متعبة للراجل ، وإنها لحصن حصين ، قال : فالترس ، قال : ذاك مجنّ وعليه تدور الدوائر . قال : فالسيف ، قال : هناك قارعتك أمك الهبل .

[٣٩٧]- وصف العباس بن الحسن العلوي رجلا بفصاحة فقال : ما شبهته يتكلم إلا بثعبان ينهال من رمال ، أو ماء يتغلغل بين جبال .!!

[٣٩٨] - وقال : قلت لجعفر : ما البيان؟ فقال : أن يكون الكلام يحيط بمعناك ، ويجلّي عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بالفكرة ، والذي لا بدّ منه أن يكون سليما من التكلف ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأويل .

الجاحظ : هذا تأويل قول الأصمعي : البليغ من طبّق المفصل ، وأغناك عن المفسّر .

[٣٩٩]- قال الجاحظ في وصف كتاب : لا أعلم جارا أبرّ ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ، ولا صاحبا أظهر كفاية ولا أقل خيانة ، ولا أبدى نفعا ، ولا أقلّ إبراما وإملالا ، ولا أحمد أخلاقا ، ولا أقل خلافا ، ولا أتم سرورا ، ولا أقل غيبة ، ولا أكثر أعجوبة ، ولا أبعد مراء ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكفّ عن قتال ، ولا آمن على كشف الأسرار والاطلاع على شكوى ذات النفس ؛ من كتاب .

[٤٠٠] – قال الرياشي ، قال الأصمعي : ألا أدلّك على بستان يكون في كمّك ، وروضة تكون في حجرك ، وميت ينطق ، وأخرس يتكلم ، يحدثك إذا شئت ، ويقطع عنك إذا سئمت؟ قلت : بلى ، قال : عليك بكتابك .

[٤٠١]– وقال آخر في نعت الأكول والمآكل : [من السريع]

لم ترعيني آكلا مثله . . . يأكل باليسرى معا واليمين

تلعب في القصعة أطرافه . . . لعب أخي الشطرنج بالشاه بين

[٤٠٢]– ذكرت العمائم عند أبي الأسود الدؤلي فقال : هي جنّة في الحرب ، ومكنّة من الحر ، ومدفأة من القر ، ووقار في النديّ ، وواقية من الأحداث ، وزيادة في القامة ، وهي بعد عادة من عادات العرب .

[٤٠٣] – وروي عن يوسف عليه السلام أنه كتب على باب السجن : هذه منازل البلوى ، وقبور الأحياء ، وتجربة الأصدقاء ، وشماتة الأعداء .

[٤٠٤]– والشّيب رائد الموت ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ (فاطر : 37) . جاء في التفسير : أنه الشيّب .

[٤٠٥]– قال ابن عباس : ما آتى الله عبده علما إلا شابّا ، والخير كلّه في الشباب ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ ﴾ (الأنبياء : 60)
وقوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدىً ﴾ . (الكهف : 13)
وقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

[٤٠٦]- وكان أنس يقول : قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، فقيل له : يا أبا حمزة وقد أسنّ؟ فقال : لم يشنه الله تعالى بالشيّب ، فقيل : أوشين هو؟ قال : كلّكم يكرهه .

[٤٠٧]- وقال مسروق : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله .

[٤٠٨]- بلغ أبو بكر هبة الله بن الحسن الشيرازي تسعين سنة ولم تبيضّ له شعرة فقال يتبرّم بالشباب من قصيدة : [من الوافر]

إلام وفيم يظلمني شبابي ... وتلبس لمّتي حلك الغراب
وآمل شعرة بيضاء تبدو ... بدوّ البدر من خلل السحاب
وأدعى الشّيخ ممتلئا شبابا ... كذي ظمإ يعلّل بالشراب
وكافور المشيب أجلّ عندي ... وفي فوديّ من مسك الشباب
وأين من الصباح ظلام ليل ... وأين من الرّباب دجى ضباب

[٤٠٩]- وقال الحسن : أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمّر .

[٤١٠]- أول من خضب من أهل مكة بالسواد عبد المطلب بن هاشم ، خضبه بذلك ملك من ملوك حمير وزوّده ، وأقبل عبد المطلب من عنده ، فلما قرب من مكة اختضب ودخلها فقالت نثيلة بنت جناب بن كلب أمّ العباس بن عبد المطّلب : يا شيبة الحمد ما أحسن هذا الخضاب لو دام ، فقال لها عبد المطّلب : [من الطويل]

فلو دام هذا يا نثيل حمدته ... ولكن بديل من شباب قد انصرم
تمتّعت منه والحياة قصيرة ... ولا بدّ من موت نثيلة أو هرم
وماذا الذي يجدي على المرء خفضه ... ونعمته يوما إذا عرشه انهدم
فموت جهيز عاجل لا شوى له ... أحبّ إلينا من مقالكم حطم

[٤١١]- حدّث بعضهم قال : خرجت إلى ناحية الطفاوة فإذا أنا بامرأة لم أر أحسن منها فقلت : أيتها المرأة إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه ، وإلا فأعلميني ، قال فقالت : وما تصنع بي وفيّ شيء لا أراك ترتضيه ، قلت : وما هو؟ قالت : مشيب في رأسي ، قال : فثنيت عنان دابّتي راجعا ، فصاحت بي :

على رسلك أخبرك بشيء ، فوقفت وقلت : ما هو يرحمك الله؟ قالت : والله ما بلغت العشرين بعد وهذا رأسي (وكشفت عن عناقيد كالحمم) وما رأيت في رأسي بياضا قط ، ولكن أحببت أن تعلم أنّا نكره منكم ما تكرهون منا وأنشدت : [من الوافر]

أرى شيب الرجال من الغواني . . . بموضع شيبهنّ من الرجال

قال : فرجعت خجلا كاسف البال .

[٤١٢]- سئل الحسن عن الخضاب فقال : هو جزع قبيح .

[٤١٣]- أتي معاوية برجل من جرهم قد أتت عليه الدهور ، فقال له :

أخبرني عمّا رأيت في سالف عمرك ، قال : رأيت مثل ما رأيت ، رأيت الدنيا ليلة في إثر ليلة ، ويوما في إثر يوم ، ورأيت الناس بين جامع مالا مفرّقا ، ومفرّق مالا مجموعا ، وبين قويّ يظلم ، وضعيف يظلم ، وصغير يكبر ، وكبير يهرم ، وحيّ يموت ، وجنين يولد ، وكلّهم بين مسرور بموجود ، ومحزون بمفقود .

والعرب لا تعدّ معمّرا إلا من بلغ مائة وعشرين سنة فصاعدا .

[٤١٤]- ومن المعمّرين المستوغر بن ربيعة ، وهو عمر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرّ ، قيل إنه أدرك الإسلام أو كاد يدرك أوله ، ونسبه إلى تميم ، وبقاؤه إلى الإسلام أو قبله يدلّ على طول بقائه ، قيل إنه عاش ثلاثمائة وعشرين سنة حتى قال : [من الكامل]

ولقد سئمت من الحياة وطولها . . . وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة أتت من بعدها مائتان لي . . . وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا . . . يوم يكرّ وليلة تحدونا

[٤١٥]- وقد جاءت الأخبار عن القرن الأول دالّة على طول العمر المضاعف على أعمار هذا العصر ، فمن الحجة فيها عمر نوح عليه السلام في قومه الذي لا خلاف فيه ، دلّ عليه كتاب الله تعالى والتوراة وسائر الكتب .

وقال وهب : إن أصغر من مات من ولد آدم عليه السلام ابن مائتي سنة فبكته الإنس والجنّ لحداثة سنّه .

وقال عبد الله : كان الرجل ممن كان قبلكم لا يحتلم حتى تأتي عليه ثمانون سنة!

[٤١٦]- مازح شيخ جارية من الأعراب فقالت : [من البسيط]

يا أيها الشيخ ما عنّاك للغزل . . . قد كنت في مقعد عن ذا ومعتزل

رضت القلاص فلم تحكم رياضتها . . . فاعمد برحلك نحو الجلّة الذلل

[٤١٧] - وكان عبيد الله هذا فقيها عالما ورعا ، وهو أحد الفقهاء المشهورين ، وهو الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : وددت أنّ لي ليلة من عبيد الله بألف دينار من بيت المال ، فقيل له يا أمير المؤمنين : مثلك يقول هذا مع تخوفك! فقال : إنكم لا تدرون ، إني أرجع منه بأضعاف ذلك فيما أنتفع به منه ، أو نحو هذا الكلام .

[٤١٨]- وكان عبيد الله مع هذا غزلا وله أشعار معروفة رقيقة في النسيب ، فمن ذلك قوله : [من الطويل]

ألا من لنفس ما تموت فينقضي . . . عناها ولا تحيا حياة لها طعم

أأترك إتيان الحبيب تأثّما . . . ألا إنّ هجران الحبيب هو الإثم

فذق هجرها قد كنت تزعم أنه . . . رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

[٤١٩]- نظر أبو حازم المدايني ، وكان من أعبد الناس وأزهدهم ، إلى امرأة تطوف بالبيت مسفرة أحسن خلق الله تعالى وجها ، فقال : أيتها المرأة اتقي الله ، لقد شغلت الناس عن الطواف ، فقالت : أما تعرفني؟ قال : من أنت؟ فقالت : [من الطويل]

من اللائي لم يحججن يبغين حسبة . . . ولكن ليقتلن البريء المغفلا

فقال : إني أسأل الله أن لا يعذّب هذا الوجه الحسن بالنار ، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال رحمه الله : أما لو كان بعض عبّاد العراق لقال : اغربي يا عدوة الله ، ولكنه ظرف عبّاد أهل الحجاز .

[٤٢٠]- وممّن نسب إلى العشق ومات كمدا محمد بن داود الأصفهاني صاحب المذهب . روي عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي نفطويه ، قال : دخلت على محمد بن داود في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له : كيف تجدك؟ قال : حبّ من تعلم أورثني ما ترى ، فقلت : ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال : الاستمتاع على وجهين ، أحدهما النظر المباح ، والثاني اللذة المحظورة .

أمّا النظر المباح فأورثني ما ترى ، وأمّا اللذة المحظورة فإنه منعني عنها ما حدّثني أبي قال ، حدثنا سويد بن سعيد قال ، حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتّات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال : من عشق وكتم وعفّ وصبر غفر الله له وأدخله الجنة .

ثم أنشد لنفسه : [من البسيط]

انظر إلى السحر يجري من لواحظه . . . وانظر إلى دعج في طرفه الساجي

وانظر إلى شعرات فوق عارضه . . . كأنهنّ نمال دبّ في عاج

وأنشد لنفسه : [من الخفيف]

ما لهم أنكروا سوادا بخدي . . . هـ ولا ينكرون ورد الغصون

إن يكن عيب خده بدء ذا الشع . . . ر فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له : نفيت القياس في الفقه وأثبته في الشعر ، فقال : غلبة الهوى وملكة النفوس دعوا إليه ، قال : ومات من ليلته ، أو في اليوم الثاني .

[٤٢١]- قال عكرمة : إني لمع ابن عباس بعرفة إذا فتية أدمان يحملون فتى في كساء معروق الوجه ناحل البدن أحلى من رأيت من الفتيان ، حتى وضعوه بين يدي ابن عباس وقالوا له : استشف له يا ابن عمّ رسول الله ، فقال ابن عباس :
وما به؟ فأنشأ الفتى يقول : [من الطويل]

بنا من جوى الأحزان والحبّ لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة معول ... على ما به عود هناك صليب

قال وأنشأ الفتى يقول : [من الطويل]

وبي لوعة لو تشتكي الصمّ مثلها ... تفطرت الصمّ الصلاد فخّرت
ولو قسم الله الذي لي من الجوى ... على كلّ نفس حظّها لألّمت
ولكنما أبقى حشاشة معول ... على ما به صلب النجار فمدت

قال : فأقبل ابن عباس على عبيد الله بن حميد بن زهير بن سهيل بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، فقال : أخذ هذا البدوي العود علي وعليه ، قال : ثم حملوه ، فخفت في أيديهم فمات ، فقال ابن عباس : هذا قتيل الحبّ لا عقل ولا قود .
قال عكرمة : فما رأيت ابن عباس يسأل الله تلك العشية حتى أمسى إلا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى .

[٤٢٢]- قال رجل لامرأة : أنا أحبك ، قالت : وما الدليل على ذلك؟
قال : تعطيني قفيز دقيق حتى أعجنه بدموع عينيّ ، قالت : على أن تجيء بخبزه إلينا ، قال : يا سيدتي ، أنت تريدين خبّازا لا تريدين عاشقا .

[٤٢٣]- خطب معاوية بالمدينة فقال ، وكان رقي المنبر فأرتج عليه ، فاستأنف فأرتج عليه ، فقطع الخطبة ، وقال : سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عيّ بيانا ، وأنتم إلى أمير فعّال أحوج منكم إلى أمير قوّال . فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال : هن مخرجاتي من الشام ، استحسانا لكلامه .

[٤٢٤]- خطب أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب عند تزويج رسول الله صلّى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :

الحمد لله الذي جعلنا من ذريّة إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إنّ محمّدا بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به برّا وفضلا ، وكرما وعقلا ، ومجدا ونبلا ، وإن كان في المال قلّ فإنّ المال ظلّ زائل وعارية مسترجعة ، وله في خديجة ابنة خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصّداق فعليّ .

[٤٢٥]- قال الأصمعي خطب داود بن علي بالمدينة فأرتج عليه فقال : إنّ اللسان بضعة من الإنسان ، يكلّ بكلاله إذا نكل ، وينبسط بانفساحه إذا ارتجل ، ألا وإنّ الكلام بعد الإفحام كالإشراق بعد الإظلام ، وإنّا لا ننطق هذرا ، ولا نسكت حصرا ، بل ننطق مرشدين ، ونسكت معتبرين ، ونحن أمراء الكلام ، فينا وشجت عروقه ، وعلينا تهدّلت غصونه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، ووراء أيامنا أيام ، يعرف فيها فصل الخطاب ، ومواضع الصواب .

[٤٢٦]- ولي العلاء بن عمرو بلاد سارية ، وكان جائرا ، فأصاب الناس القحط ، وأمسكت السماء مطرها ، فخرجوا يستسقون ، وصعد العلاء المنبر فقال في دعائه : اللهم ارفع عنّا البلاء والغلاء . فوثب معتوه كان بها فقال :

والعلاء ، فإنه شرّ من الغلاء ، وأغلظ من جميع البلاء . فضحك الناس وخجل العلاء وانصرف .

[٤٢٧]- قيل ثلاثة تدلّ على عقول أصحابها : الكتاب والهدية والرسول .

[٤٢٨] – ومن أمثالهم – أي العرب – : هو «أعزّ من كليب وائل» ، وهو كليب بن ربيعة التغلبي ، كان أعزّ العرب في دهره ، فقتله جسّاس بن مرّة ، ففيه كانت حرب بكر وتغلب ابني وائل ، وهي حرب البسوس .

[٤٢٩] – ويقولون : «هو أحسن من الطاووس» ؛ و «أجمل من ذي العمامة» ، وهو سعيد بن العاص بن أمية ويكنى أبا أحيحة ، وله يقول الشاعر : [من البسيط]

أبو أحيحة من يعتمّ عمّته . . . يضرب وإن كان ذا مال وذا ولد

[٤٣٠]– ومن أمثالهم : هو «أشأم من طويس» ، وهو مخنّث كان يقول : ولدت يوم مات رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وفطمت يوم مات أبو بكر رضي الله عنه ، وبلغت الحنث يوم قتل عمر رضي الله عنه ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لي ليلة قتل عليّ عليه السّلام .

[٤٣١]– «إني إذا حككت قرحة أدميتها» ، المثل لعمرو بن العاص ، وكان انعزل في خلافة عثمان رضي الله عنه ، فلما بلغه حصره وقتله ، قال : أنا أبو عبد الله ، إني إذا حككت قرحة أدميتها ، فسارت مثلا ، يعني أنه كان يظنّ هذا الأمر واقعا فكان كما ظن .

[٤٣٢]– وقال أكثم بن صيفي : «مقتل الرّجل بين فكّيه» ، يعني لسانه .

[٤٣٣]– «جزاني جزاء سنمار» ، وخبرهما ، قال المفضل : هي صحر بنت لقمان العادي ، وكان أبوها لقمان وأخوها لقيم ، فخرجا مغيرين فأصابا إبلا كثيرة ، فسبق لقيم إلى منزله ، فعمدت أخته صحر إلى جزور منها مما قدم به لقيم فنحرتها وصنعت منها طعاما يكون معدا لأبيها لقمان إذا جاء تتحفه به ، وكان لقمان حسد ابنه لقيما لتبريزه– كان– عليه ، فلما قدم لقمان قدّمت صحر إليه الطعام وعلم أنه من غنيمة لقيم لطمها لطمة فقأت عينها ، فصارت عقوبتها مثلا لكل من لا ذنب له يعاقب .

وكان من حديث سنمار أنه كان بناء وكان مجيدا ، وهو من الروم ، فبنى الخورنق الذي بظهر الكوفة للنعمان بن امرىء القيس ، فلما نظر إليه النعمان كره أن يعمل مثله لغيره فألقاه من أعلى الخورنق فخرّ ميتا . وفيه يقول القائل : [من الطويل]

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا . . . جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

[٤٣٤]- «اليوم خمر وغدا أمر» ، قاله امرؤ القيس لما ورد عليه خبر قتل أبيه ، وكان يشرب فذهبت مثلا .

[٤٣٥]- روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعسّ بالمدينة في الليل ، فسمع صوت رجل في بيته فارتاب بالحال ، فتسوّر فوجد رجلا عنده امرأة وخمر ، فقال : يا عدوّ الله ، أكنت ترى أنّ الله يسترك وأنت تعصيه؟ فقال الرجل : لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين ، إن كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيته في ثلاث ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾ (الحجرات : 12) وقد تجسّست ، وقال : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها ﴾ (البقرة : 189) ، وقد تسوّرت ، وقال : ﴿ فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا ﴾ (النور : 61) وما سلّمت .

فقال عمر : فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، لئن عفوت عني لا أعود لمثلها أبدا ، فعفا عنه .

[٤٣٦]- قال الأصمعي : ناظر قوم من الخوارج الحسن البصريّ فقال : أنتم أصحاب دنيا ، قالوا : وكيف؟ قال : أيمنعكم السلطان من الصلاة؟ قالوا : لا ، قال : أفيمنعكم من الحجّ؟ قالوا : لا ، حتى عدّد وجوه البرّ ويقولون لا .

قال :فأراه إنّما منعكم الدرهم فقاتلتموه .

[٤٣٧]- دنا سقّاء من فقيه على باب سلطان فسأله عن مسألة ، فقال له : أهذا موضع المسألة؟ فقال له السّقّاء : أو هذا موضع الفقه؟

[٤٣٨]- كان الحسن يقول : لا توبة لقاتل مؤمن متعمّدا . فدسّ إليه عمرو بن عبيد رجلا وقال قل له : إنّه لا يخلو من أن يكون مؤمنا أو كافرا أو منافقا أو فاسقا . فإن كان مؤمنا فإن الله تعالى يقول : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾ (التحريم : 8) ، وإن كان كافرا فإنه يقول : ﴿ قُلْ لِلَّذينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ (الانفال : 38) ، وإن كان منافقا فإنه يقول : ﴿ إِنَّ الْمُنافِقينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تجَدَ لَهُمْ نَصيراً إِلاَّ الَّذينَ تابُوا ﴾ (النساء : 146 -145) ، وإن كان فاسقا فإنه يقول : ﴿ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ إِلاَّ الَّذينَ تابُوا ﴾ (النور : 5 -4) .

فقال الحسن للرجل : من أين لك هذا؟ قال : شيء اختلج في صدري .

قال : اصدقني . فقال الرجل : عمرو بن عبيد ، فقال الحسن : عمرو بن عبيد ، وما عمرو؟ إذا قام بأمر قعد به ، وإذا قعد بأمر قام به .

[٤٣٩]- لما أخذ عمر بن الخطاب في التوجّه إلى الشام قال له رجل : أتدع مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم؟ قال : أدع مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم لصلاح أمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلم ولقد هممت أن أضرب رأسك بالدّرّة حتى لا تجعل الردّ على الأئمّة عادة فيتخذها الأجلاف سنّة .

[٤٤٠]- قال الحجاج بن يوسف ليحيى بن سعيد بن العاص : بلغني أنّك تشبه إبليس في قبح وجهك ؛ قال : وما ينكر الأمير أن يكون سيّد الإنس يشبه سيّد الجنّ؟! .

[٤٤١]- خطب معاوية ذات يوم فقال : إنّ الله يقول : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ . (الحجر : 21) ، فما نلام نحن؟

فقام إليه الأحنف بن قيس فقال له : يا معاوية ، إنّا والله ما نلومك على ما في خزائن الله ، وإنما نلومك على ما أنزل الله علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونه .

[٤٤٢]- كلّم عروة بن الزبير عبد الملك بكلام غليظ والحجاج قائم على رأسه ، فقال : يا ابن العمياء ، أتكلّم أمير المؤمنين بمثل ما أسمع؟ قال عروة : يا ابن المتمنّية ، وما ذكرك عجائز الجنّة؟

وكانت جدّة الحجاج القائلة : [من البسيط]

هل من سبيل إلى خمر فأشربها . . . أم هل سبيل إلى نصر بن حجّاج

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتاز بالمرأة وهي تنشد هذا الشعر ، فأحضر نصر بن حجّاج ، وهو شابّ جميل ذو وفرة مليحة ، فحلق شعره فكان أجمل ، فنفاه ، وقال : لا أسمع النّساء يتمنّينك في حجالهنّ .

فقال عبد الملك : أقسمت عليك إلاّ أمسكت .

[٤٤٣]- قال الرشيد لإسماعيل بن صبيح : وددت أنّ لي حسن خطّك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كان حسن الخطّ مكرمة لكان أولى الناس بها رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

[٤٤٤]- حكي أن المروانيّ صاحب الأندلس كتب إلى صاحب مصر كتابا وملأه بسبّه وسبّ أبيه ، فكتب إليه في الجواب : يا هذا ، عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك ، والسلام .

[٤٤٥]- عرض رجل للرشيد وهو يطوف بالبيت فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أكلّمك بكلام فيه خشونة ، فاحتمله لي ، قال : لا ولا كرامة ، قد بعث الله تعالى من هو خير منك إلى من هو شرّ مني فقال : ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ﴾ (طه : 44) .

[٤٤٦]- أتي الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج ، فقيل له ما تقول في أبي بكر وعمر : فقال خيرا ، قيل فعثمان : قال خيرا . قيل فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك : فقال : الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجّاج خطيئة من خطاياه .

[٤٤٧]- مرّ معاوية بقوم من قريش ، فلما رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس ، فقال : يا ابن عباس ، ما منعك من القيام كما قام أصحابك؟ ما ذاك إلا لموجدة أنّي قاتلتكم بصفّين ، فلا تجد ، فإن عثمان بن عفان قتل مظلوما . قال ابن عباس : فعمر بن الخطاب قتل مظلوما ، قال : إن عمر قتله كافر ، قال ابن عباس فمن قتل عثمان؟ قال : المسلمون ، قال : فذاك دحض لحجتك .

[٤٤٨]- قال رجل لهشام بن الحكم : أليس اختصم العباس وعليّ إلى عمر؟ قال : بلى ، قال : فأيهما كان الظالم؟ قال : ليس فيهما ظالم ، قال : سبحان الله كيف يتخاصم اثنان وليس فيهما ظالم؟ قال : كما تخاصم الملكان إلى داود وليس فيهما ظالم .

[٤٤٩]- دخل الوليد بن يزيد على هشام وعلى الوليد عمامة وشي ، فقال هشام : بكم أخذت عمامتك؟ قال بألف درهم . فقال هشام : عمامة بألف درهم؟ يستكثر ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين إنها لأكرم أطرافي ، وقد اشتريت أنت جارية بعشرة آلاف دينار لأخسّ أطرافك .!

[٤٤٥]- قالت عائشة للخنساء : إلى كم تبكين على صخر ، وإنما هو جذوة في النار؟ قالت : ذاك أشدّ لجزعي عليه .

[٤٤٦] - قال الإسكندر لابنه : يا ابن الحجّامة! فقال : أما أمّي فقد أحسنت التخيّر ، وأما أنت فلم تحسن .

[٤٤٧] - دعا بعض القرّاء بعض الأمراء باسمه فغضب وقال : أين الكنية لا ابا لك؟ فقال : إن الله تعالى سمّى أحبّ الخلق إليه فقال : ﴿ وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

منْ قَبْله الرُّسُلُ﴾ (آل عمران : 144) ، وكنّى أبغض الخلق إليه فقال : ﴿ تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد : 1) .

[٤٤٨]- سأل رجل جاهل أفلاطن : كيف قدرت على كثرة ما تعلّمت؟
قال : لأني أفنيت من الزّيت أكثر مما أفنيت من الشراب .

[٤٤٩] - قال الحسن بن قحطبة : دخلت على المهديّ بعيساباذ فدخل شـــــــريك القاضي فسلّم ، فقال المهدي : لا سلّم الله عليك يا فاسق ، فقال شريك : إن للفاسق علامات تعرف : شرب الخمور واتّخاذ القينات والمعارف . قال : قتلني الله إن لم أقتلك . قال : ولم يا أمير المؤمنين؟

قال : رأيت في المنام كأني مقبل عليك أكلّمك وأنت تكلّمني من قفاك . فقال لي المعبّر : هذا رجل يطأ بساطك وهو مخالف لك . فقال شريك : إن رؤياك ليست كرؤيا يوسف بن يعقوب ، وإن دماء المسلمين لا تستحلّ بالأحلام .

فنكس المهديّ رأسه ثم أشار إليه أن اخرج ، فخرج وخرجت خلفه . فقال لي : ما رأيت ما أراد صاحبك أن يفعل؟ فقلت : اسكت فلله أبوك! .

[٤٥٠]- قال المنصور لبعض الخوارج وقد ظفر به : عرّفني من أشدّ أصحابي إقداما كان في مبارزتك؟ قال : ما أعرفهم بوجوههم ولكني أعرف أقفاءهم ، فقل لهم يدبروا حتى أصفهم ؛ فاغتاظ وأمر بقتله .

[٤٥١]- خفّف أشعب الصلاة مرّة ، فقال له بعض أهل المسجد : خففت الصلاة جدا ، قال : لأنه لم يخالطها رياء .

[٤٥٢]- قال رجل : رأيت أعرابيّا في إبل قد ملأت الوادي ، فقلت : لمن هذه؟ قال : لله في يدي .

[٤٥٣]- قيل : طاف الرشيد بالبيت فوطىء جرادة ، فلم يدر ما عليه فيها ، فبعث بالمأمون إلى الفضيل بن عياض فسلّم عليه وقال : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : لنا إليك حاجة ، فأحبّ أن تعبر إلينا .

فلم يجب الفضيل بشيء ، فرجع المأمون وقال : رأيت رجلا ليست به إليك حاجة ، فقام الرشيد مغضبا حتى خيف على الفضيل منه ؛ فوقف عليه وسلّم ، فوسّع الفضيل له وردّ عليه السّلام . فلما جلس أقبل على الفضيل فقال : رحمك الله ، قد كان الواجب أن تأتينا وتعرف حقّنا إذ ولاّنا الله أموركم فصيّرنا الحكام في دمائكم ، والذّابّين عن حريمكم ، وإذ لم تأتنا فقد أتيناك ؛ إني وطئت الآن في الطواف على جندبة فما ديتها؟

قال : فبكى الفضيل بكاء شديدا حتى علا صوته وقال : إذا كان الراعي يسأل عن الغنم هلكت الغنم ، وإنما يجب على الراعي أن يرتاد لغنمه المرعى ، وجيّد الكلأ ، وعذب الماء ، فإذا كنت يا أمير المؤمنين تسألني عن معالم الدّين فبأيّ شيء تسوس رعيّتك؟ قال : فخجل الرشيد حتى عرق وانصرف .

[٤٥٤]- قال أبو حنيفة : قال لي حماد بن أبي سليمان : إذا سئلت عن معضلة فاقلبها سؤالا على سائلك حتى تتخلّص من مسألته ، قال : فدسّ إليّ رجل على الباب وأنا عند ابن هبيرة قد أمر بي إلى السجن ، فتبعني الرجل إلى السجن فقال لي : يا أبا حنيفة يحلّ للرجل إذا أمره السلطان الأعظم بقتل رجل أن يقتله؟

قال ، قلت : وكان الرجل ممن يستحقّ القتل عليه؟ قال : نعم ، قلت : فليقتله ، قال : فإن لم يكن ممن وجب عليه القتل؟ قلت : إن السلطان الأعظم لا يأمر بقتل من لا يستحقّ عليه القتل .

[٤٥٥]- وتنبّأت امرأة على عهد المأمون فأوصلت إليه ، فقال لها : من أنت؟ قالت : أنا فاطمة النبيّة ، قال لها المأمون : أتؤمنين بما جاء به محمد فهو حقّ؟ قالت : نعم ، قال : فإنّ محمدا قال لا نبيّ بعدي ، قالت : صدق عليه السلام ، فهل قال لا نبيّة بعدي؟ قال

المأمون لمن حضره : أما أنا فقد انقطعت ، فمن كان عنده حجّة فليأت بها ، وضحك حتى غطّى وجهه .

[٤٥٦]- دخل الشّعبيّ الحمّام وفيه رجل متكشّف ، فغمّض عينيه فقال له الرجل : يا شيخ متى ذهبت عينك؟ قال : منذ هتك الله سترك .

[٤٥٧] - قال سعيد بن المسيب : ما فاتني الأذان في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة ، ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس يخرجون من المسجد .

[٤٥٨]- قال الشعبي : أخطأت عند عبد الملك بن مروان في أربع ، حدثني بحديث فقلت : أعده عليّ ، فقال : أما علمت أنّ أمير المؤمنين لا يستعاد ؛ وقلت حين أذن لي : أنا الشعبيّ يا أمير المؤمنين؟ فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك ؛ وكنيت عنده رجلا فقال : أما علمت أنه لا يكنّى أحد عند أمير المؤمنين ؛ وسألته أن يكتبني حديثا ، فقال : إنّا نكتب ولا نكتب .

وليس ما ذكره الشعبيّ عن نفسه ونسبها فيه إلى الخطأ بخطأ ، وإنما تخلّق عبد الملك بأخلاق الجبابرة ، وخالف أخلاق الحنيفيّة السهلة ، فكان غلط الشعبيّ مضافا إليها .

[٤٥٩]- كانوا يقولون - العرب - : من علّق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك أنّ الجنّ تهرب من الأرنب لأنها تحيض وليست من مطايا الجنّ .

وقيل لبعضهم : أحقّ ما يقولون : إنّ من علّق على نفسه كعب أرنب لم يقربه جنّان الحيّ وعمّار الدار؟ قال : إي والله! وشيطان الحماطة وجانّ العشيرة وغول القفر وكلّ الخوافي ، إي والله! ويطفىء عنه نيران السعالي .

[٤٦٠]- ويزعمون أنّ الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحبّ الناس إليه ذهب الخدر عنه . قالت امرأة من كلاب : [من الطويل]

إذا خدرت رجلي ذكرت ابن مصعب . . . فإن قلت عبد الله أجلى فتورها

[٤٦١]- ويزعمون أنّ الرجل إذا دخل قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشر كما ينهق الحمار لم يصبه وباؤها . قال عروة بن الورد : [من الطويل]

لعمري لئن عشّرت من خشية الرّدى . . . نهاق الحمير إنني لجزوع

[٤٦٢]- أسماء الأيام عند العرب :

الأحد أول ، الإثنين أهون ، الثلاثاء جبار ، الأربعاء دبار ، الخميس مؤنس ، الجمعة عروبة ، السبت شيار . وأنشدوا في ذلك شعرا كأنه مصنوع لأنه مختل الإعراب وهو : [من الوافر]

أؤمّل أن أعيش وأنّ يومي . . . بأوّل أو بأهون أو جبار

أو التالي دبار فإن أفته . . . فمؤنس أو عروبة أو شيار

أنشد ذلك أبو عمر الزاهد .

[٤٦٣]- مزيقياء : هو عمرو بن عامر بن ماء السماء جدّ الأزد ، سمّي بذلك لأنه كان يمزّق كل يوم حلّة جديدة لئلا يلبسها غيره ؛ وقيل كان ينسج له كلّ سنة حلّة من ذهب فيلبسها يوم العيد ، فإذا أمسى مزّقها ، ويقوم بنسج أخرى لعيد السنة القابلة ؛ وقيل لأنّ الله تعالى مزّقهم ، وذلك قوله : ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ .!

[٤٦٤]- تأبّط شرا الفهمي : اسمه ثابت بن جابر .

يزعمون أنه قتل الغول وجاء متأبّطا لها ، فألقاها وسط أصحابه ، فقالوا : لقد تأبّط شرا ، فغلبت عليه . وقيل : بل أخذ جونة فملأها حيّات ثم أتى بها أمّه متأبّطها فقالت : تأبّط شرا .

[٤٦٥]- حدث الأصمعي عن يونس قال : صرت إلى حيّ بني يربوع فلم أجد إلا النساء فأضرّ بي الجوع ، فصرت إليهنّ وقلت : هل لكنّ في الصلاة؟ قلن : أيم الله إنّ لنا فيها لأهلا ، فأذّنت وأقمت وتقدّمت وكبّرت وقرأت الحمد لله رب العالمين ، ثم قلت : يا أيها الذين آمنوا إذا نزل بكم الضيف فلتقم ربة البيت فتملأ قعبا زبدا وقعبا تمرا فإنّ ذلك خير وأعظم أجرا ، قال : فو الله ما انقلبت من صلاتي إلا وصحاف القوم حولي ، فأكلت حتى امتلأت . ثم جاء رجال الحي ، فسمعت امرأة وهي تقول لزوجها : يا فلان ما سمعت قرآنا أحسن من قرآن قرأه اليوم ضيفنا ، فقال لها زوجها : تبارك ربنا إنه ليأمرنا بمكارم الأخلاق .

[٤٦٦]- من الفراسة : يقولون : عظم الجبين يدلّ على البله ، وعرضه على قلة العقل ، وصغره على لطف الحركة ، واستدارته على الغضب ؛ والحاجبان إذا اتصلا على استقامة دلا على تخنيث واسترخاء ، وإذا تزجّجا منحدرين إلى طرف الأنف دلا على لطف وذكاء ، وإذا تزجّجا نحو الصدغين دلا على طنز واستهزاء ؛ والعين إذا كانت صغيرة الموق دلّت على سوء خلة وخبث شمائل ، وإذا وقع الحاجب على العين دلّ على الحسد ، والعين المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خلق ومروءة ، والناتئة على اختلاط عقل ، والغائرة على حدّة ، والتي يطول تحديقها على قحة وحمق ، والتي يكثر طرفها على خفة وطيش ؛ والشّعر على الأذن يدلّ على جودة السمع ؛ والأذن الكبيرة المنتصبة تدلّ على حمق وهذيان .

[٤٦٧]- وقال عليه السلام لحبّة وسواء ابني خالد : «لا تيئسا من روح الله ما تهزّزت رؤوسكما» ، فإن أحدكم يولد أحمر لا قشر عليه ثم يكسوه الله ويرزقه» .

[٤٦٨]- فممّن خرج من شدته ما روي أن الوليد بن عبد الملك كتب إلى صالح بن عبد الله المري ، عامله على المدينة ، أن ابرز الحسن بن الحسن بن علي- وكان محبوسا- واضربه في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خمسمائة سوط . فأخرجه إلى المسجد واجتمع الناس ، وصعد صالح ليقرأ عليهم الكتاب ثم ينزل فيأمر بضربه .

فبينا هو يقرأ الكتاب إذ جاء علي بن الحسين عليه السلام ، فأفرج له الناس حتى انتهى إلى الحسن ، فقال : يا ابن عمّ! ما لك! ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرّج الله عنك ، فقال : ما هو يا ابن عمّ؟ قال : قل لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين . قال : وانصرف علي وأقبل الحسن يكررها ، فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب نزل ، قال : أرى سحنة رجل مظلوم ؛ أخّروا أمره ، وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره ، ثم أطلق بعد أيام .

[٤٦٩]- وجد في كنيسة للنصارى بالشام بين الصور مكتوب : يقول صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، نزلت هذه الكنيسة يوم كذا من شهر كذا من سنة ثماني عشرة ومائة ، وأنا مكبّل بالحديد محمول إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك : [من البسيط]

ما سدّ باب ولا ضاقت مذاهبه ... إلا أتاني وشيكا بعده ظفر

فبعد أربع عشرة سنة نزل صالح بتلك الكنيسة محاربا لمروان بن محمد ، فكان من ظفر بني هاشم ببني مروان ما كان .

[٤٧٠]- وقال مسكين الدارمي : [من البسيط]

لم يجعل الله قلبي حين ينزل بي ... همّ يضيقني ضيقا ولا حرجا
ما أنزل الله بي أمرا فأكرهه ... إلا سيجعل لي من بعده فرجا

[٤٧١]- قال إسحاق بن إبراهيم المصعبي : رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في النوم ذات ليلة وهو يقول : أطلق القاتل . فارتعت لذاك ودعوت بالشموع ونظرت في الكتب الواردة لأصحاب السجون ، فلم أجد كتابا فيه ذكر قاتل ، فأمرت باحضار السندي وعياش ، وسألتهما هل رفع إليهما أحد ادعي عليه القتل؟

فقال لي عياش : نعم ، وقد كتبنا بخبره . فأعدت النظر فوجدت الكتاب في أضعاف القراطيس ، وإذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به . فأمرت باحضاره ، فلما رأيت ما به من الارتياع قلت له : إن صدقتني أطلقتك .

فانبرى يحدثني ، وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كلّ عظيمة ويستحلون كل محرّم ، وأنه كان اجتماعهم في منزل بمدينة أبي جعفر المنصور يعكفون فيه على كل بليّة ؛ فلما كان هذا اليوم جاءتنا عجوز كانت تختلف للفساد ومعها جارية بارعة الجمال ، فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة عظيمة ثم أغمي عليها ؛ فلما أفاقت قالت : الله! الله فيّ! فإن هذه العجوز خدعتني وأعلمتني أن في جيرانها قوما لهم حقّ عظيم لم يكن مثله ، وشوقتني إلى النظر إلى ما فيه ، فخرجت معها واثقة بقولها ، فهجمت بي عليكم ، وجدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي ، فاحفظوهم فيّ! قال : فكأنها أغرتهم بنفسها . فقمت دونها ومنعت منها ، وقاتلت من أرادها ، ونالتني جراحات أظهرها فرأيتها ، قال : وعمدت إلى أشدّهم كان في أمرها ، فقتلته وخلّصت الجارية آمنة ممّا خافته ؛ فسمعتها تقول : سترك الله كما سترتني ، وكان لك كما كنت لي! وسمع الجيران فدخلوا إلينا ، والرجل متشحط بدمائه ، والسكين في يدي ، فرفعت على هذه الحال .

قال إسحاق : فقلت له قد وهبتك لله ورسوله ، قال : فوحق الذي وهبتني لهما لا عاودت معصية ولا دخلت في ريبة أبدا .

[٤٧٢]- قال نعيم بن أبي هند : كنت عند يزيد بن أبي مسلّم وهو يعذب الناس ، فذكر رجل في السجن فبعث إليه بغضب وغيظ ، وأنا لا أشك في أنه سيوقع به ؛ فلما وقف بين يديه رأيته يحرّك شفتيه بشيء لم أسمعه ، فرفع يزيد رأسه إليه وقال : خلوا سبيله . فقمت إلى الرجل فقلت له : ما الذي قلت؟

قال : قلت اللهم إني أسألك بقدرتك التي تمسك بها السموات السبع أن يقع بعضهن على بعض أن تكفينيه .

[٤٧٣]- قال أبو عمرو بن العلاء : كنت هاربا من الحجاج فسمعت منشدا ينشد : [من الخفيف]

ربما تجزع النفوس من الأم . . . ر له فرجة كحلّ العقال

فقلت له : ما الخبر؟ قال : مات الحجاج . فما أدري بأي قوليه كنت أفرح : بقوله فرجة أم بقوله مات الحجاج ، وكان أبو عمرو يقرأ : ﴿ إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً ﴾ (البقرة : 249) احتاج إلى شاهد ، ففرح بقول المنشد «فرجة» وقبل هذا البيت : [من الخفيف]

صبّر النفس عند كلّ مهمّ . . . إن في الصبر حيلة المحتال
لا تضيقنّ في الأمور فقد تك . . . شف لأواؤها بغير احتيال

[٤٧٤]- جرف الطاعون أهل بيت فسدّ بابه ، وثمّ طفل لم يشعروا به . ففتح بعد شهر فإذا الطفل وثمّ كلبة مجر قد عطفها الله عليه ، فكانت ترضعه مع جرائها .

[٤٧٥]-قد دلّ قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى ﴾ (العلق : 6، 7) ، على ذمّ الغني إذ كان سبب الطغيان .

وسئل أبو حنيفة عن الغني والفقر فقال : وهل طغى من طغى من خلق الله إلا بالغني؟ وتلا هذه الآية .

[٤٧٦]- وقال ابن سيرين : كنا عند أبي هريرة وعليه ممشقتان من كتان فتمخط فيهما فقال : بخ بخ أبو هريرة يتمخط في الكتان ، لقد رأيتني أجرّ فيما بين منبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى حجرة عائشة مغشيا عليّ من الجوع ، فيجيء الرجل فيجلس على صدري فأرفع رأسي فأقول : إنه ليس ذاك إنما هو الجوع .

[٤٧٧]- قال بعض الزهاد :

تأمل ذا الغنى ما أدوم نصبه وأقلّ راحته ، واخسر من ماله حظّه ، وأشدّ من الأيام حذره ، ثم هو بين سلطان يهتضمه ، وعدوّ يبغي عليه ، وحقوق تلزمه ، واكفاء يسوءونه ، وولد يودّ فراقه . قد بعث الغنى عليه من سلطانه العنت ، ومن أكفائه الحسد ، ومن أعدائه البغي ، ومن ذوي الحقوق الذمّ ، ومن الولد الملامة .

[٤٧٨]- قال ابن المعتز : الناس ثلاثة أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط . فالفقراء موتى إلا من أغناه الله عزّ وجلّ بعزّ القناعة ، والأغنياء سكارى إلا من عصمه الله تعالى بتوقع الغير ، وأكثر الخير مع أكثر الأوساط ، وأكثر الشر مع الفقراء والأغنياء لسخف الفقر وبطر الغنى .

[٤٧٩]- سمع العطوي رجلا يحدث أن رجلا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن فلانا قد جمع مالا ، فقال له عمر : فهل جمع له أياما؟ فأخذ العطوي هذا المعنى فقال [من البسيط]

أرفه بعيش فتى يغدو على ثقة ... أن الذي قسّم الأرزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يدنّسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه

جمعت مالا فقل لي هل جمعت له ... يا جامع المال أياما تفرّقه

المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك إلا حين تنفقه

[٤٨٠] - وقال بعض الفرس : من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه ، فإن ثبت صدقه فهو عندي أحمق .

[٤٨١]- دخل داود عليه السلام غارا فيه رجل ميت وعند رأسه لوح مكتوب فيه : أنا فلان بن فلان ملكت ألف عام ، وبنيت ألف مدينة ، وتزوجت ألف امرأة ، وهزمت ألف جيش ، ثم صار أمري إلى أن بعثت إلى السوق قفيزا من الدراهم في رغيف فلم يوجد ، فبعثت قفيزا من الدنانير فلم يوجد ، فبعثت قفيزا من الجواهر فلم يوجد ، فدققت الجواهر فاستففتها فمت مكاني ، فمن أصبح له رغيف وهو يحسب أن على وجه الأرض أغنى منه فأماته الله كما أماتني .

[٤٨٢]- كان أبو الشمقمق الشاعر أديبا ظريفا عاقلا محارفا صعلوكا متبرما قد لزم بيته في أطمار مسحوقة . وكان إذا استفتح أحد بابه خرج فنظر من فروج الباب ، فإن أعجبه

فتح له وإلا سكت عنه . فأقبل إليه بعض إخوانه ، فلما رأى سوء حاله قال له : أبشر أبا الشمقمق فإنا نجد في الحديث أن العارين في الدنيا الكاسون في الآخرة . قال : لئن كان هذا الذي تقوله حقا لأكونن يوم القيامة بزّازا ، وقال : [من الرمل المجزوء]

أنا في حال تعالى ال . . . له ربّي أي حال
ليس لي شيء إذا قي . . . ل لمن ذا قلت ذا لي
ولقد أفلست حتى . . . محت الشمس خيالي
ولقد أملقت حتى . . . حل أكلي لعيالي

[٤٨٣]- قيل : السفر ميزان الأخلاق . ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للرجل الذي وصف عنده آخر : أعاملته أو سافرت معه؟

[٤٨٤]- إن أعانتك الغربة على الزمن فلا تطع النزاع إلى الوطن .

[٤٨٥] - ووصى الاسكندر أن تحمل رمته في تابوت من ذهب إلى بلد الروم حبا لوطنه .

[٤٨٦]- قال سفيان : والله ما أدري أي البلاد أسكن؟ فقيل له : خراسان ، فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ؛ قيل : فالشام ، قال : يشار إليك بالأصابع- أراد الشهرة- ؛ قيل : فالعراق ، قال : بلد الجبابرة ؛ قيل : فمكة ، قال تذيب الكيس والبدن .

[٤٨٧]- وقال بعضهم : ما رددت أحدا عن حاجة إلا تبيّنت العزّ في قفاه والذلّ في وجهي .

[٤٨٨]- قيل : لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعيّة والعمّال من شدّة الحجاب للوالي ، ولا أهيب للرعيّة والعمّال من سهولة الحجاب ، لأنّ الرعيّة إذا وثقت بسهولة الحجاب أحجمت عن الظّلم ، فإذا وثقت بصعوبته هجمت على الظّلم .

قال سعيد بن المسيّب : نعم الرجل عبد العزيز لولا حجابه ، إنّ داود عليه السلام ابتلي بالخطيئة لحجابه .

[٤٨٩]- وقد سئل بعض الفقهاء عن استجازتهم الحيل في الفقه ، فقال : قد علّمنا الله عزّ وجلّ ذلك ؛ فإنّه قال : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِه وَلا تَحْنَثْ ﴾ [ص : 44] . واستعمل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الخديعة في الحرب وقال : الحرب خدعة .

[٤٩٠]- أتي معن بن زائدة بثلاثمائة أسير من حضرموت ، فأمر بضرب رقابهم . فقام فيهم غلام حين سال عذاره ، فقال : أنشدك الله أن تقتلنا ونحن عطاش ، قال : اسقوهم ، فلما شربوا قال : اضربوا أعناقهم ، فقال الغلام :
أنشدك الله أن تقتل أضيافك ، فقال : أحسنت! وأمر بإطلاقهم .

[٤٩١]- قال الشعبيّ : وجّهني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم فلما وصلت إليه جعل يسائلني عن أشياء فأخبره بها . فأقمت عنده أياما ، ثم كتب جواب كتابي ، فلما انصرفت دفعته إلى عبد الملك ، فجعل يقرأه ويتغيّر لونه .

ثم قال : يا شعبيّ ، علمت ما كتب به إليّ الطاغية؟ قلت : يا أمير المؤمنين كانت الكتب مختومة ، ولو لم تكن مختومة ما قرأتها وهي إليك . قال : إنّه كتب إليّ : إنّ العجب من قوم يكون فيهم مثل من أرسلت به فيملّكون غيره . قال :

فقلت : يا أمير المؤمنين ذاك لأنّه لم يرك . قال : فسرّي عنه . ثم قال : إنّه حسدني عليك فأراد أن أقتلك .

[٤٩٢]- يقال إنّ الفيل من طبعه الهرب من السّنّور ، فحكي عن هارون مولى الأزد- الذي كان يردّ على الكميت ويفخر بقحطان ، وكان شاعر أهل المولتان- أنه خبّا معه هرّا تحت حضنه ، ومشى بسيفه إلى الفيل وفي خرطومه السيف ، والفيّالون يذمرونه ؛ فلما دنا منه ألقى الهرّ على وجهه فأدبر الفيل هاربا وتساقط الذين على ظهره ، وكبّر المسلمون ، وكان سبب الهزيمة .

[٤٩٣]- ومثله ما حكي أنّ المأمون قال ليحيى بن أكثم : هل تغدّيت؟ قال :
لا وأيّد الله أمير المؤمنين .

فقال المأمون : ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها! وكان الصاحب يقول : هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ .

[٤٩٤]- وجّه ملك الروم إلى معاوية بقارورة وقال : ابعث إليّ فيها من كلّ شيء ، فبعث إلى ابن عباس فقال : إحدى بنات طبق! قال : وما ذاك؟ فقصّ عليه القصة ، فقال : لتملأ له ماء . فلما ورد به على ملك الروم قال : لله أبوه ما أدهاه! وقيل لابن عباس : كيف اخترت ذلك؟ فقال : لقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ ﴾ (الأنبياء : 30) .

[٤٩٥]- وقال أعرابيّ : أتعرفون شيئا إذا قام كان أقصر منه إذا قعد . هو الكلب لأنّه إذا أقعى كان أرفع سمكا منه إذا قام على أربع .

[٤٩٦]- قال بعضهم : رأيت أبا نواس يوما يضحك من سكران وقال :
ما رأيت سكران قبله ، قلت : وكيف ذاك؟ قال : لأني كنت أسكر قبل الناس فلا أدري ما يكون حال السّكارى .

[٤٩٧]- اجتمع محدّث ونصرانيّ في سفينة ، فصبّ النصراني من زكرة كانت معه في مشربة ، وشرب ، وصبّ فيها وعرضها على المحدّث ، فتناولها من غير فكر ولا مبالاة ، فقال النصرانيّ : جعلت فداك ، إنّما هو خمر ، فقال : من أين علمت أنّها خمر؟ قال : اشتراها غلامي من يهوديّ وحلف أنّها خمر .

فشربها بالعجلة وقال للنصرانيّ : أنت أحمق ؛ نحن أصحاب الحديث نضعّف سفيان بن عيينة ، ويزيد بن هارون ، أفنصدّق نصرانيّا عن غلامه عن يهوديّ؟

والله ما شربتها إلا لضعف الإسناد .

[٤٩٨]- قال الشافعي . رضي الله عنه : الغناء بغير آلة مكروه . وحكي عن سعيد ابن ابراهيم الزّهري وعبد الله بن الحسن العنبريّ أنّهما قالا : ليس بمكروه .

[٤٩٩]- وروي أن ابن مليكة بينا هو يؤذّن إذ سمع الأخضر الجدّيّ يغنّي من دار العاص بن وائل : [من الطويل]

تعلّقت ليلى وهي ذات ذؤابة ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أنّنا ... إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فأراد أن يقول : حيّ على الصلاة ، فقال : حيّ على البهم ، حتى سمعه أهل مكة ، فغدا يعتذر إليهم .

[٥٠٠]- وأما ابراهيم بن المهديّ فكان إذا غنّى أنصت له الوحش وجاء حتى يقف قريبا من المجلس الذي يكون فيه حتى ينقضي غناؤه ، فإذا سكت عاد الوحش إلى أماكنه من البستان أو الحائر الذي يكون فيه .

ويقال : إنّه كان إذا تنحنح أطرب ، وكان يخاطب وكيله من روشنة على دجلة فيسمعه من الجانب الآخر من غير أن يجهد نفسه .

[٥٠١]- وسئل الفضيل رحمه الله عن قراءة القرآن بألحان ، فقال : إنّما أخذ هذا من الغناء قوم اشتهوا الغناء فاستحبّوا فحولّوا نصب الغناء على القرآن ، وعسى أن يقرأ رجل [ليس] له صوت فلا يعجبهم وهو خير من صاحب الصوت ؛ ويقرأ الآخر فيعجبهم صوته فيقولون : ما أحسن قرآنه! ولعله لا يجاوز قرآنه حنجرته .

[٥٠٢]- وقال رجل للحسن : ما تقول في الغناء؟ فقال : نعم الشيء الغنى! توصل به الرّحم ، وينفّس به عن المكروب ، ويفعل فيه المعروف ، قال : إنّما أعني الشّدو ، قال : وما الشّدو؟ أتعرف منه شيئا؟ قال : نعم ، قال : فما هو؟
فاندفع الرجل يغنّي ويلوي شدقيه ومنخريه ويكسر عينيه ، فقال : ما كنت أرى أنّ عاقلا يبلغ من نفسه ما أرى .

[٥٠٣] – وعن عبد الله بن عوف : قال أفلاطن : من حزن فليسمع الأصوات الحسنة ؛ فإن النّفس إذا حزنت خمد نورها ، وإذا سمعت ما يطربها ويسرّها اشتعل منها ما خمد .
وما زالت ملوك فارس تلهي المحزون بالسماع ، وتعلّل به المريض ، وتشغله عن التفكّر .

[٥٠٤]- قال علي بن عبد الكريم : زار إسماعيل بن جامع إبراهيم الموصليّ ، فأخرج إليه ثلاثين جارية فضربن جميعا طريقة واحدة وغنّين ، فقال ابن جامع :
في الأوتار وتر غير مستو ، فقال إبراهيم : يا فلانة ، شدّي مثنّاك ، فشدّته فاستوى . فعجبت أوّلا من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وترا غير مستو ، ثم ازداد عجبي من فطنة إبراهيم له بعينه .

[٥٠٥]- قال أبو محمد التميمي : سألت الشريف أبا علي محمد بن أحمد بن موسى الهاشميّ عن السماع؟ فقال : لا أدري ما أقول فيه ، غير أني حضرت دار شيخنا عبد العزيز بن الحارث التميمي رحمه الله تعالى سنة سبعين وثلاثمائة في دعوة عملها

لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث ، وأبو الحسين بن سمعون شيخ الوعّاظ والزهّاد ، وأبو عبد الله ابن مجاهد شيخ المتكلّمين وصاحب أبي بكر بن الباقلانيّ في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة . قال أبو علي : لو سقط السّقف عليهم لم يبق للعراق من يفتي في حادثة يشبه واحدا منهم ، ومعهم أبو عبد الله غلام [تام] ، وربما كان هذا يقرأ القرآن بصوت حسن وربّما قال شيئا ، فقيل له : قل لنا شيئا ، فقال وهم يسمعون : [من البسيط]

خطّت أناملها في بطن قرطاس ... رسالة بعبير لا بأنقاس
أنظر فديتك لي من غير محتشم ... فإنّ حبّك لي قد شاع في الناس
وكان قولي لمن أدّى رسالتها ... قف لي لأمشي على العينين والراس

قال أبو علي : فبعد ما رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بشيء من حظر أو إباحة .

[٥٠٦]- قالت قينة يوما لأبي العيناء : وأنت أيضا يا أعمى!؟ فقال لها : ما أستعين على وجهك بشيء أصلح من العمى .

[٥٠٧] - حجّ مخارق ، فلما قضى الحجّ وعاد قال له رجل : بحقّي عليك غنّني صوتا ، فغنّاه : [من الطويل]

رحلنا فشرّقنا وراحوا فغرّبوا ... ففاضت لروعات الفراق عيون

فرفع الرجل يده إلى السماء وقال : اللهم إني أشهدك أني قد وهبت حجّتي له .

[٥٠٨]- ابن الراوندي : اختلف الناس في السماع ، فأباحه قوم وحظره آخرون ، وأنا أخالف الفريقين فأقول : إنّه واجب .

[٥٠٩]- كان لبعض الظرفاء جاريتان مغنّيتان ، حاذقة ومتخلّفة ، وكان يخرق [ثوبه] إذا غنّت الحاذقة ، فإذا غنّت الأخرى قعد يخيطه .

[٥١٠]- وقال لقمان لابنه : يا بنيّ ، لا تأكلنّ شبعا على شبع ، فلأن تنبذه للكلب خير لك .

[٥١١] - وكانت ملوك الأعاجم إذا رأت الرجل نهما شرها حريصا على المطعم أخرجوه من طبقة الجدّ إلى باب الهزل ، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار والتصغير ، وكانوا يقولون : من شره بين يدي الملوك إلى الطعام ، كان إلى أموال السّوقة والرعيّة أشدّ شرها .

[٥١٢]- قال المأمون : ثنتان لا [تحسنان] على موائد الملوك : نكت المخّ ، وكثرة أكل البقل .

[٥١٣]- وقيل كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول : اعملوا ولا تعملوا لبطونكم . وإيّاكم وفضول الدنيا ، فإنّ فضولها رجز . هذه طير السماء تغدو وتروح وليس معها من أرزاقها شيء ، لا تحرثوا والله يرزقها .

[٥١٤]- قال السائب بن زيد : ربّما تعشّيت عند عمر بن الخطاب ، فيأكل الخبز واللّحم ، ثم يمسح يده على قدميه ويقول : هذا منديل عمر بن الخطّاب .

[٥١٥]- وقال الخليل : أثقل ساعاتي عليّ ساعة آكل فيها .

[٥١٦]- دخل سفيان بن عيينة على الرشيد وهو يأكل بملعقة ، فقال : حدّثت عن جدّك ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ ﴾ (الاسراء : 70) ، قال : جعلنا لهم أيديا يأكلون بها . فكسر الملعقة .

[٥١٧] - وكان عبيد الله بن زياد من الأكلة . كان يأكل في اليوم خمس أكلات آخرها جبنة بعسل ، ويوضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عناق أو جدي فيأتي عليه وحده .

[٥١٨]- وروي أنّ بلال بن أبي بردة ذبح تيسا ضخما وسلخه ، وجعل يضع اللّحم على النار قطعة قطعة ويأكلها حتى لم يبق إلا العظام ، ثم جاءت خبازته ببرمة عليها قصعة فيها ناهضان ودجاجتان وأرغفة ، فأكل ذلك كلّه .

[٥١٩] - قيل لسمرقنديّ : ما حدّ الشّبع؟ فقال : إذا جحظت عيناك ، وبكم لسانك ، وثقلت حركتك ، وارجحنّ بدنك ، وزال عقلك ، فأنت في أوّل الشّبع . قيل : فإذا كان هذا أوّله ، فما آخره؟ قال : أن تنشقّ نصفين .

[٥٢٠]- قال الناجم : دعا قوم أبا عثمان الجاحظ ، فلما قرّبت المائدة قال : [إني صائم] . فبينما هم يأكلون إذ قرّب على المائدة جدي شهيّ ، فلمّا رآه ، حسر عن ذراعيه وازدلف إليه ، فقيل له : ألم تكن صائما؟ فقال : الأيام أكثر من الجداء .

[٥٢١]- وقال طفيليّ : من جلس على مائدة وأكثر كلامه غشّ بطنه .

[٥٢٢]- نظر طفيليّ إلى قوم ذاهبين في وجه ، فلم يشكّ أنّهم يذهبون إلى وليمة . فقام وتبعهم ، فإذا هم شعراء قد قصدوا باب السلطان بمدائح لهم . فلما أنشد كلّ واحد منهم شعره وأخذ جائزته ، ولم يبق إلا الطفيليّ وهو جالس ساكت ، قيل : أنشد ، قال :

لست بشاعر . قالوا : فمن أنت؟ قال : من الغاوين الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (الشعراء : 224) .

فضحك الممدوح وأمر له بمثل جائزة الشّعراء .

[٥٢٣]- وكانت العرب لا تعرف الألوان . إنّما طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح ، حتى كان زمن معاوية فاتّخذ الألوان وفرّقها وتنوّق فيها .

[٥٢٤]- حكي أنّ المأمون مضى إلى المدائن متنكّرا ومعه بعض الأصحاب ، فأكل من جوذابها فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه من طعام العامة! فقال : إنّ العامة تشركنا في الماء البارد ، فهل نترك شربه لأجلهم؟!

[٥٢٥]- قال حماد بن سلمة : دخلت على إياس بن معاوية وهو يأكل فالوذجا ، فقال : ادن فكل ، فإن كان شيء يزيد في العقل فهذا .

[٥٢٦]- كان بعض الأعراب يأكل ومعه بنوه ، فجعلوا يأخذون اللّحم من بين يديه فيقول لهم : يا بنيّ ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما ﴾ (الاسراء : 23) . ولأن تقولوا لي ألف مرّة «أفّ» في كلّ مرة سبعون انتهارا ، أهون عليّ مّما تفعلون .

[٥٢٧]- لزم أعرابيّ سفيان بن عيينة حتى سمع منه ثلاثة آلاف حديث ، ثم جاءه يودّعه ، فقال له سفيان : يا أعرابيّ ، ما أعجبك من حديثنا؟ قال : ثلاثة أحاديث : حديث عائشة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم وآله وصحبه أنّه كان يحبّ الحلواء ويحبّ العسل ، وحديثه عليه الصلاة والسلام : «إذا حضر العشاء وحضرت الصلاة ، فابدأوا بالعشاء» ، وحديث عائشة عنه صلّى الله عليه وسلم : «ليس من البرّ الصيام في السّفر» .

[٥٢٨]- لمّا قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام كان النّوح عليه بالمدينة في كلّ بيت سنة كاملة ، ثم نيح عليه في السنة الثانية في كلّ جمعة ، ثم نيح عليه في الثالثة في كلّ شهر . وكان مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة يدخلان إليهم مقنّعين فيبكيان أشدّ بكاء حتى ينقضي النّوح .

[٥٢٩]- حدّث أبو عمرو الشيبانيّ أنّ يزيد بن معاوية شرب حتى سكر ، ثم ركب فرسا وأقبل حتى علا جبلا ، فانتهى إلى فصل بينه وبين جبل آخر ، فأراد أن يوثب فرسه حتى يلحق الجبل الآخر ، فقرعه بالسّوط ، فوثب فلم يبلغ ، وسقط فمات .

[٥٣٠]- قال عليّ الحميريّ : لمّا أشخص المنصور أبا حنيفة إلى بغداد شخصت معه ، فقدم بغداد ، فحضر الدار ، وأعلم به المنصور ، فدخل إليه ثم خرج إليّ وهو ممتقع اللون ، فسألته عن حاله فقال لي : المنزل ، المنزل! فمضيت معه فقال : إنّ هذا دعاني إلى القّضاء ، فأعلمته أني لا أصلح ، وافترصها منّي وظنّ أني قد كذبته ، فقال لي : قد جلست تفتي الناس ، وتزعم أنك لا تصلح للقضاء ، قال : فقلت له : إني لم أقل إني لا أصلح لأني لا أعلم أن البيّنة [على المدعي واليمين على من أنكر] ولكنه لا يصلح للقضاء إلا رجل له نفس يحكم بها عليك وعلى ولدك وعلى قوّادك ، وليست تلك النفس لي ، والله يعلم أنك لتدعوني ، فما ترجع نفسي إليّ حتى أفارقك ؛ فلما سمع ذلك منّي أطرق ثم رفع رأسه إليّ ، وقال : فلم لا تقبل صلتي؟ فقلت : أفوصلني أمير المؤمنين من ماله بشيء فرددته ولم أقبله؟ وإنّما وصلتني من بيت مال المسلمين ولا حقّ لي فيه ؛ لأني لست مقاتلا من ورائهم فآخذ مع المقاتلة ، ولست من ولدانهم فآخذ ما يأخذون ، ولست من فقرائهم فآخذ ما يأخذ الفقراء ، أنا من الله بخير ، وبنعمته في كفاية ، فقال لي : أقم بمكانك تكاتبك القضاة فيما [لعلهم أن يحتاجوا إليك . قلت :] سمعا وطاعة .

[٥٣١]- قال عبد الله بن المبارك : لمّا أفضت الخلافة إلى هارون ، وقعت في نفسه جارية من جواري المهديّ ، فأرادها على نفسها ، فقالت : لا أصلح لك ؛ إنّ أباك قد أطاف

بي ، فأغري بها . قال : فبعث إلى أبي يوسف فقال : جارية من جواري المهديّ أردتها فتحصّنت منّي وذكرت أنّ أبي قد وقع بها ، فعندك في هذا شيء؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، لا تصدّقها ، ليست بمأمونة على نفسها .

قال عبد الله بن المبارك : فلم أدر من أيّهم أعجب ، من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرّج من [وطء جارية] لأبيه رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين ، أم من هذا فقيه الأرض وقاضيها ، قال : تهتك حرمة أبيك واقض شهوتك وصيّره في رقبتي .

[٥٣٢]- سأل أعرابيّ عمرو بن عبيد عن التوحيد ، فتناول بيضة بين يديه ، فوضعها على راحته وقال : هذا حصن مغلق لا صدع فيه ، ثم من ورائه غرقىء يستشف ، ثم من ورائه دمعة سائلة ، ثم لا تنفكّ الأيام والليالي حتى يتفلّق عن طاوس ملمّع ، فأيّ شيء في العالم إلا وهو دليل على أنّه ليس كمثله شيء .

[٥٣٣]- قال السّدّيّ : أتيت كربلاء أبيع البزّ بها ، فعمل لنا شيخ من طيّء طعاما [وبتنا] عنده ، فذكرنا قتل الحسين عليه السلام ، فقلت : ما شرك في قتله أحد إلا مات بأسوأ ميتة ، فقال : ما أكذبكم يا أهل العراق ، فأنا ممّن شرك في دمه . فلم نبرح حتى دنا من المصباح وهو يتّقد بنفط ، فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه ، فأخذت النار فيها ، فذهب يطفئها بريقه ، فأخذت النار في لحيته ، فعدا فألقى نفسه في الماء ، فرأيته كأنّه فحمة .

[٥٣٤]- قالوا : بينا حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسيّ يتذاكران عجائب الزمان وتغيّر الأحوال والأيّام وهما في عرصة إيوان كسرى ، وكان أعرابيّ من غامد يرعي شويهات له نهارا ، فإذا كان الليل صيّرهنّ إلى داخل العرصة ، وفي العرصة سرير رخام ربما كان يجلس كسرى عليه ، فصعدت شويهات الغامديّ إلى ذلك السّرير ، فقال سلمان : ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامديّ إلى إيوان كسرى .

[٥٣٥]- روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما استأذن على الحجاج ليلا فقال الحجاج : إحدى حمقات أبي عبد الرحمن . فدخل فقال له الحجاج : ما جاء بك؟ قال : ذكرت قول النبيّ صلّى الله عليه وسلم : من مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية . فمدّ إليه رجله فقال : خذ فبايع .
أراد بذلك الغضّ منه .

[٥٣٦]- قال أبو ميمون العبدي : رأيت أبا سعيد الخدريّ ممعّط اللحية ، فقلت له : أتعبث بلحيتك؟ قال : لا ، ولكن هذا ما لقيت من ظلمة أهل الشام ؛ دخلوا عليّ زمان الحرّة فأخذوا ما كان في البيت ثم خرجوا ، ثم دخلت طائفة أخرى فأخذوا ما كان في [البيت من حلية] أو متاع ثم خرجوا ، ثم دخلت طائفة أخرى فلم يصيبوا في البيت شيئا ، فأسفوا أن يخرجوا فأضجعوا الشّيخ وأخذ كلّ واحد خصلة من لحيتي ، فأنا أتركها حتى أوافي بها ربّ العالمين .

[٥٣٧] - قال عبد الملك بن مروان : كنت أنا وعبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير [ومصعب بن الزبير] يوما جلوسا بفناء الكعبة ، فقلنا : هلمّوا يتمنّى كل واحد منّا ما يحبّ ، فقال عروة بن الزبير : أتمنّى على الله الفقه ، وأن يحمل عني الحديث .
وقال مصعب : أتمنّى ولاية العراقين وأن أتزوّج عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين .
وقلت أنا : أتمنّى على الله الخلافة . وسكت ابن عمر . فقلنا له :
تمنّ ، قال : أتمنّى على الله الجنّة .
فما منّا إلا من بلغ أمنيته في دنياه ، ولا أشكّ في أنّ ابن عمر قد نال ما تمنّى .

[٥٣٨]- قال سلمان الفارسيّ : الناس أربعة : أسد ، وذئب ، وثعلب ، وضأن : فأمّا الأسد فالملوك يفترسون . وأما الذئب فالتّجار . وأمّا الثعلب فالقرّاء المخادعون . وأمّا الضأن فالمؤمن ينهشه كلّ من يراه .

[٥٣٩]- قال علي بن حرملة : رأيت أبا حنيفة حين ورد عليه خبر إبراهيم الصائغ وتعرّضه لأبي مسلم حتى قتله ، فقال : والله لقد كنت أتخوف عليه هذا الأمر حتى وقع فيه . قالوا : كيف يا أبا حنيفة؟ قال : صار إليّ وسألني خلوة فوعدته ، ولم أقدر لاجتماع الحاجّ عليّ ؛ فكان يتقاضاني ويذكر الموعد ؛ فقلت له : ترى شغلي بالحاجّ ، فقال : إن الله يسألك عن أمري . قال : فخلا معي ساعة فقال : ما تقول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أفرض هو أم نفل؟

قلت : فرض . فعدّ عليّ من هذه الفرائض ما عدّ ثم قال : مثل هذا؟

قلت : نعم ، قال : ابسط يدك أبايعك عليه . قال : فأظلمت عليّ الأرض ، وخفت إن أعطيته شيئا لا أقدر أن أقوم به . قال : ثم ذكرت فقلت : يا أبا إسحاق إنّ هذا فرض ليس كسائر الفرائض التي يؤدّيها الرجل وحده ، فتحرّ عنه ، وهذا متى عرض له رجل أشاط بيده بدمه وعرّض نفسه للقتل فلو كان قتل وخلص الحقّ إلى من يقوم به أجر في تلف نفسه ، ولكن يقتل ولا يستوفى للناس أمرهم وتذهب نفسه ؛ ولكن انتظر فإن منّ الله علينا بمن يقوم لله بذلنا له أنفسنا ومهجنا وما نالته أيدينا من القوة . فانصرف من عندي ، وكان يتقاضاني تقاضي الغريم الملحّ حتى خرج إلى مرو ، فتعرّض لأبي مسلم فأمره ونهاه ، فأخذه وحبسه ، فاجتمع عليه أهل مرو وقالوا : مثله تحبس ونحن نعرض ونؤمّل من الله به كلّ خير؟ فأخرجه . ثم تعرّض له ثانية وثالثة فقتله . فبلغني عنه أنه قال : أخاف أن أكون قد أعنت على نفسي فينقص ثوابي من الله إذ لم أقبل ممّن هو أعلم بالله مني .

[٥٤٠]- قال أبو حنيفة : وحدثني من أثق به من آل بيت محمد صلّى الله عليه وسلم عن أبيه عن عليّ عليه السلام أنه قال : سيّد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ورجل يقوم في آخر الزمان عند انقضاء ملك بني أمية إلى رجل جائر يقول له : أنا داعية الحق ، فيأمره فيقتله ، فكان هو الذي قام على أبي مسلم فأمره ونهاه ، فأخاف أن أكون قد ضيعت حقّ الله فيه .

[٥٤١] - وقيل : إن ابن هبيرة حين اضطرب الحبل وظهرت الفتنة بالعراق جمع فقهاء أهل العراق وقضاته ، منهم ابن أبي ليلى وابن شبرمة وداود بن أبي هند ، وعددا منهم ، فولّى كلّ واحد منهم صدرا من عمله . وأرسل إلى أبي حنيفة فأراد أن يكون الخاتم في يده ، فامتنع أبو حنيفة عليه ؛ وحلف ابن هبيرة إن لم يفعل ما أراد ضربه كلّ جمعة سياطا حتى يقتله . قال : فأخرج والفقهاء جلوس ، فمالوا به إلى إخوانه فوقف عليهم فقالوا له : ننشدك الله أن تتلف نفسك ، وتغمّ إخوانك ، وتعرض لهذا الجبّار ، وإنا قد كرهنا هذا الأمر كما كرهت ، ولكن نشتري الدين بعضه ببعض . فقال أبو حنيفة : لا والله لا آثرت على الله شيئا ، ولا أدخل في عمل ، لو سألني أن أعدّ له أساطين المسجد والله ما فعلت ، فكيف ولو ترى أن نكتب في دم رجل لعله غير مستحقّ فأختم أنا على كتابه ونأخذ المال من غير حقّه فينفقه على معاصي الله وأعينه على حفظه . فقال ابن أبي ليلى : دعوا صاحبكم وما يحمل على نفسه ، فهو والله المصيب ونحن المخطئون ؛ يا أخي لو وطّنّا لأنفسنا على ما وطّنت نفسك عليه كان خيرا لنا .

فحبسه صاحب الشرطة عنده جمعتين ولم يضربه ، ثم أخرجه واعتذر إليه وقال : إن هذا الأمير لا يختار عليه ، فإمّا أن تدخل فيما أمرك به أو أمضي فيك أمره ؛ قال : من تقلّد شيئا كان عليه ؛ فضربه . فقال ابن هبيرة : ألا ناصح لهذا المحبوس يستأجله فنؤجّله لينظر في أمره؟ فجيء إلى أبي حنيفة فأخبر ، فلما كانت الجمعة الثانية أخرج ، فقال : إنّ أثر السّياط طريّ في جنبي ، ولي إخوان فدعوني أستشرهم وأنظر فيما يدعونني إليه . فاغتنم إليه . فاغتنم ابن هبيرة قوله وأمر بتخلية سبيله .

فركب دوابّه وهرب إلى مكة ، فلم يزل مقيما بها حتى ظهرت الهاشمية وملكوا .

[٥٤٢]- وقد روي أن أبا حنيفة لما خاف التّلف وألحّ عليه ابن هبيرة بالضرب ، وآلى أن لا يرفعه عنه حتى يلي له عملا ، تولّى له عدّ أحمال التبن التي تخرج من ناحية السّواد وتدخل الكوفة .

[٥٤٣] - وروي أنّ ابن هبيرة أراده على القضاء وحلف إن هو لم يقبل ليضربنّه بالسّياط على رأسه ، فقيل لأبي حنيفة فقال : ضربه لي بالسياط في الدنيا أسهل علي من مقامع الحديد في الآخرة ؛ والله لا فعلت ولو قتلني . فحكي قوله لابن هبيرة فقال : بلغ من قدره ما يعارض يميني بيمينه؟ فدعا به فقال له سفاها ، وحلف له إن لم يل ليضربنّه على رأسه حتى يموت . فقال له أبو حنيفة : هي ميتة واحدة . قال : فأمر به فضرب عشرين سوطا على رأسه . فقال أبو حنيفة : اذكر مقامك بين يدي الله فإنه أذلّ من مقامي بين يديك ، ولا تهدّدني فإني أقول : لا إله إلا الله ، والله سائلك عني حيث لا يقبل منك جواب . فأومأ إلى الجلاد أن أمسك . وبات أبو حنيفة في السجن ، فأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب . قال : فقال ابن هبيرة : إني رأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول : أما تخاف الله تضرب رجلا من أمتي بلا جرم وتهدّده؟ فأرسل إليه فاستخرجه واستحلّه .

[٥٤٤]- وقال الربيع بن يونس : جمع المنصور مالك بن أنس وابن أبي ذئب وأبا حنيفة فقال : كيف ترون هذا الأمر الذي أعطاني الله من أمر هذه الأمة؟ هل أنا لذلك أهل؟ قال : فسكت القوم ؛ فقال لابن أبي ذئب : ما تقول في هذا الأمر الذي قلّدني الله عزّ وجلّ من أمر أمة محمد صلّى الله عليه وسلم؟ فقال : إنّ ملك الدنيا يؤتيه الله من يشاء وملك الآخرة يؤتيه الله من طلبه في الله ووفّقه ، وإن التوفيق منك إذا أطعته قريب وإذا عصيته بعيد ، وإن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى عليها والعون لمن وليها ، وأنت وأعوانك خارجون من التوفيق ، عالون على الخلق ، فإن سألت الله السلامة ، وتقرّبت إليه بالأعمال الزاكية ، كان في ذلك نجاتك وإلا فأنت المطلوب . قال : فكنت أنا ومالك بن أنس نجمع ثيابنا أن يترشّش علينا من دمه . قال : فقال لأبي حنيفة : ما تقول؟ قال : المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب ، إن أنت نصحت نفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا ، وإنما أردت أن تعلم العامة أنّا نقول فيك ما تهواه مخافة سيفك وحبسك ، ولقد وليت الخلافة وما اجتمع عليك نفسان من أهل التقوى ، والخلافة تكون عن إجماع المؤمنين ومشورة ، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمسك عن الحكم ستة أشهر حتى

أتته بيعة أهل اليمن . قال : وقال لمالك : ما تقول؟ قال : لو لم يرك الله أهلا لذلك ما قدّر لك ملك هذه الأمّة وأزال عنهم من بعد من بينهم ، وقرّب هذا الأمر إلى أهل بيت نبيّه ، والله لقد دحر الله الباطل ، وأنجى أهل بيت نبيّه ، أعانك الله على ما ولاّك ، وألهمك الشكر على ما خوّلك ، وأعانك على ما استرعاك . قال : فأمرهم فانصرفوا . وقال لي المنصور : خذ معك ثلاث بدر واتبع القوم ، فإن أخذها مالك كلّها فادفعها إليه ، وإن أخذ ابن أبي ذئب وأبو حنيفة منها شيئا فجئني برؤوسهما . قال : فأتيت ابن أبي ذئب فقال : ما أرضى هذا المال له ، فكيف آخذه لنفسي؟ وقال أبو حنيفة : (ما أنفع له إن كان يعطي من يرحم أن يرحم نفسه ممن يعلم) ، والله لو ضربت عنقي على أن أمسّ منها شيئا ما مسسته ؛ فأتيت مالكا فأخذها كلّها . فأتيت المنصور فأعلمته وبهذه الصيانة حقنوا دماءهم .

[٥٤٥]- صلى الحجاج إلى جنب ابن المسيّب ، فرآه يرفع قبل الإمام ويضع ، فلما سلّم أخذ بثوبه حتى فرغ من صلاته ودعائه ، ثم رفع نعليه على الحجاج ، وقال : يا سارق! يا خائن! تصلي هذه الصلاة؟ لقد هممت أن أضرب بهما وجهك! وكان الحجاج حاجّا ، فرجع إلى الشام ، وجاء واليا على المدينة ، ودخل من فوره المسجد قاصدا مجلس سعيد ، فقال له : أنت صاحب الكلمات؟ قال : نعم أنا صاحبها ، قال : جزاك الله من معلّم ومؤدّب خيرا ، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا ذاكر قولك .

[٥٤٦]- جنان الدنيا أربع : غوطة دمشق ونهر الأبلّة وشعب بوّان وصغد سمرقند . قال أبو بكر الخوارزمي : قد رأيتها كلّها وكان فضل الغوطة على الثلاث كفضل الأربع على غيرهنّ ، كأنها الجنّة صوّرت على وجه الأرض .

[٥٤٧] - غرس معاوية نخلا بمكة في آخر خلافته ، فقال : ما غرستها طمعا في إدراكها ولكنّي ذكرت قول الأسدي : [من البسيط]

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به . . . ولا يكون له في الأرض آثار

[٥٤٨]- قيل للاسكندر : لو استكثرت من النّساء ليكثر ولدك ويدوم بهم ذكرك . فقال : دوام الذّكر بتحسين السّير والسّنن ، ولا يحسن بمن غلب الرجال أن تغلبه النّساء .

[٥٤٩]- قال إسحاق بن اليمان : رأيت رجلا نام وهو أسود الرأس واللحية شابّ يملأ العين ، فرأى في منامه كأنّ الناس قد حشروا ، وإذا بنهر من نار وجسر يمرّ عليه الناس . فدعي فدخل الجسر ، فإذا هو كحدّ السيف يمور به يمينا وشمالا ، فأصبح أبيض الرأس واللحية .

[٥٥٠]- وقال رجل لسعيد بن المسيّب : رأيت كأنّي بلت خلف المقام أربع مرات . قال : كذبت لست صاحبها ، قال : فهو عبد الملك ؛ قال : يلي أربعة من صلبه الخلافة .

[٥٥١]- وقال أبو حنيفة : رأيت كأنّي نبشت قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلم فضممت عظامه إلى صدري ، فهالني ، فسألت ابن سيرين فقال : ما ينبغي لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا . قلت أنا رأيتها ؛ قال : لئن صدقت رؤياك لتحيينّ سنّة نبيّك .

[٥٥٢]- قال رجل لعلي بن الحسين : رأيت كأني أبول في يدي ، فقال : تحتك محرم . فنظر فإذا بينه وبين امرأته رضاع .

[٥٥٣]-وقال الأصمعي : أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة ، فقال رجل : منها البيت والبيتان ، فقال : ومنها المائة والمائتان .

[٥٥٤]- قال محمّد بن إسحاق بن خزيمة : ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري . وكان يقال :

حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث . وقال البخاري : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتي ألف حديث غير صحيح . وقال : ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصلّيت ركعتين ووضعت تراجمه بين قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلم ومنبره . وكان يصليّ لكلّ ترجمة ركعتين .
وقال : أخرجته من ستمائة ألف حديث ، وصنّفته في ست عشرة حجّة وجعلته حجّة فيما بيني وبين الله .

[٥٥٥]- كبر رجل من الخوارج وهرم حتى لم يكن فيه نهوض ، فأخذ منزلا على ظهر الطريق ، فلما جاء مطر وابتلّت الأرض أخذ زجاجا وكسره ورماه في الطريق فإذا مرّ به رجل وعقر رجله الزجاج ، قال الخارجي من وراء الباب : لا حكم إلا لله ، اللهمّ هذا مجهودي .

[٥٥٦]- كبر رجل من الخوارج وهرم حتى لم يكن فيه نهوض ، فأخذ منزلا على ظهر الطريق ، فلما جاء مطر وابتلّت الأرض أخذ زجاجا وكسره ورماه في الطريق فإذا مرّ به رجل وعقر رجله الزجاج ، قال الخارجي من وراء الباب : لا حكم إلا لله ، اللهمّ هذا مجهودي .

[٥٥٧]- قيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي؟ قال : أشتهي أن يجيء مخارق فيضع فمه على أذني ثم يغنّيني : [من الطويل]

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي . . . ويحدث بعدي للخليل خليل
إذا ما انقضت عني من الدهر مدّتي . . . فإنّ غناء الباكيات قليل

[٥٥٨] - قال حماد بن الزبرقان : حفظت ما لم يحفظ أحد ونسيت ما لم ينس أحد . كنت لا أحفظ القرآن فأنفت أن أجيء بمن يعلّمني ، فحفظته من المصحف في شهر

واحد ، ثم قبضت يوما على لحيتي لأقصّ ما فضل عن قبضتي فنسيت أني أحتاج أن أقصّ ما دون القبضة فقصصت أعلاها ، فاحتجت أن أجلس في البيت سنة حتى استوت .

[٥٥٩]- قيل لما حضرت الفرّاء النحويّ الوفاة دخل إليه بعض أصحابه فقال له : ما قال لك الطبيب؟ فقال : وما عسى أن يقول الطبيب إن صحة وإن مرضا ، إن رفعا فرفعا ، وإن نصبا فنصبا ، وإن خفضا فخفضا . قال :
فكان هذا آخر ما تكلّم به ، ثم مضى ، رحمه الله .

[٥٦٠]- قال الجاحظ : ما خجّلني إلا امرأة حملتني إلى صائغ فقالت : مثل هذا . فبقيت مبهوتا ، فسألت الصائغ ، فقال : هي امرأة استعملتني صورة شيطان ، فقلت : لا أدري كيف أصوّره ، فأتت بك ، وقالت : مثله .

[٥٦١]- قال العتبي : سرّح المهديّ لحيته ثم قبض عليها فكأنه استصغرها ، فأحسّ به أعرابيّ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لحيتك لجميلة أصيلة ، لم تطل فتسمج ولم تصغر فتستقبح ، بل خرجت بمقدار من صانع أحكم صنعتها وأحسن نباتها ، فمن رأى صاحبها أفلح ، ومن طلب إلى حاملها أنجح ، ثم قال : [من الكامل المجزوء]

لا تعجبنّ بلحية ... كثّت منابتها طويله
يهوي بها عصف الريا ... ح كأنها ذنب السّخيله
قد يرزق الشرف الفتى ... يوما ولحيته قليله

فأعجب بكلامه ووصله .

[٥٦٢]- رفعت امرأة زوجها إلى القاضي تبغي الفرقة ، وزعمت أنه كلّ ليلة يبول في الفراش . فقال الرجل : أصلحك الله لا تعجل حتى أقصّ عليك قصتي :
إني أرى في منامي كأني بجزيرة في البحر ، وفيها قصر وفوق القصر علّيّة ، وفوق العلّيّة قبّة ، وفوق القبّة جمل ، وأنا على ظهر الجمل ، وإن الجمل يتطأطأ ليشرب من البحر فإذا رأيت

ذلك بلت فرقا . فبال القاضي وقال : يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه ، فكيف بمن رأى الأمر عيانا؟

[٥٦٣]- وقيل لسفيان : المزاح هجنة؟ فقال : بل سنّة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : إني لأمزح ولا أقول إلا الحقّ .

[٥٦٤]- روي عن أبي الدرداء أنه كان لا يتحدث إلا وهو يبتسم في حديثه .

[٥٦٥] - سئل النخعي : هل كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم يضحكون؟
قال : نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي .

[٥٦٦]- كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا قال : غفر الله له وأراحنا منه .

[٥٦٧]- قيل للأعمش : ما أعمش عينيك؟ فقال : النظر إلى الثقلاء .

[٥٦٨]- قال المأمون ليحيى بن أكثم : يا أبا محمد من الذي يقول : [من المنسرح]

قاض يرى الحدّ في الزناء ولا . . . يرى على من يلوط من باس

قال : من لعنه الله ، أوما تعرفه يا أمير المؤمنين؟ قال : لا . قال : هو أحمد بن [أبي] نعيم الذي يقول : [من المنسرح]

لا أحسب الجور ينقضي وعلى ال . . . أمّة وال من آل عبّاس

فخجل المأمون وقال : لعنه الله! ينفى إلى السند .

[٥٦٩]- قرأ إمام في صلاة ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير : 1) فلما بلغ إلى قوله «فأين تذهبون» أرتج عليه ، فجعل يردِّدها ، وكان خلفه أعرابي معه جراب ، فلما طال عليه الأمر ولم ينبعث تقدم الأعرابيّ فصفعه بالجراب ، وقال :
أما أنا فإلى كلواذى وهؤلاء الكشاخنة فلا أدري أين يذهبون .

[٥٧٠]- قيل لأعرابي وقد تزوج بعدما كبر : لم تأخرت عن التزويج؟
فقال : أبادر ابني باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق .

[٥٧١]- وقيل لأعرابي : ما تقرأ في صلاتك؟ قال : أمّ الكتاب ونسبة الرب وهجاء أبي لهب .

[٥٧٢]- حضر أعرابيّ عند الحجاج وقدّم الطعام فأكل الناس ، ثم قدّمت الحلواء ، فترك الحجاج الأعرابيّ حتى أكل منه لقمة ، ثم قال : من أكل من هذا ضربت عنقه ؛ فامتنع الناس كلّهم وبقي الأعرابيّ ينظر إلى الحجاج مرّة وإلى الفالوذج أخرى ، ثم قال : أيها الأمير ، استوص بأولادي خيرا ، ثم اندفع يأكل .
فضحك الحجاج حتى استلقى وأمر له بصلة .

[٥٧٣]- كان أبو عيسى ابن الرشيد من أحسن الناس وجها وأجملهم ، وكان المأمون مقبّحا . فقال الرشيد لابنه أبي عيسى وهو صبيّ : ليت جمالك لعبد الله (يعني المأمون) . فقال أبو عيسى [على] أنّ حظّه منك لي . فعجب من جوابه مع صباه وضمّه إليه وقبّله .

[٥٧٤]- وكان ليهوديّ غلام فبعثه يوما ليحمل نارا يطبخ بها قدرا فأبطأ عليه ، ثم عاد بعد مدّة وليس معه نار . فقال : أين النار؟ قال : يا سيّدي قد جئتك بأحرّ من النار ، هذا صاحب الجوالي بالباب يطلب الجزية .

[٥٧٥]- وجلس أشعب يوما في الشتاء إلى رجل من ولد عقبة بن أبي معيط ، فمرّ به حسن بن حسن فقال : ما يقعدك إلى جانب هذا؟ قال : أصطلي بناره .

[٥٧٦] - أكل أبو العيناء مرة ديكبريكة وغسل يده عدة مرات فلم تنق ، فقال : كادت هذه القدر أن تكون نسبا وصهرا .

ولقيه رجل من إخوانه فقال له : أطال الله بقاءك وأدام عزّك وتأييدك وسعادتك ، فقال أبو العيناء : هذا العنوان وكتاب من أنت؟

[٥٧٧]- وقيل لاسماعيل بن حمّاد : أي اللحمين أطيب؟ قال : لحوم الناس ، هي أطيب من الدجاج والدرّاج .

[٥٧٨]- كان الشيرجي إماما من أئمّة الحنبليّة ، اجتاز بمسجد فيه معزى .
فخرج عليه منه نحويّ بغيض فقال له الشيرجي : من المتوفيّ (بكسر الفاء) فقال النحويّ : الله ، فلبّبه وقال : زنديق والله ، ورفعه إلى صاحب الجسر .

[٥٧٩]- مرّ سكران بمؤذّن رديء الحنجرة ، فجلد به الأرض ، وجعل يدوس بطنه .
فاجتمع عليه الناس فقال : ما بي رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى .

تم بحمد الله .